

القائد  
2  
مِن بَابِل

رواية

المقاومة

أحمد ناصر





لتحويلك إلى الجروب أضغط هنا



لتحويلك إلى الموقع أضغط هنا

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية  
انضموا لجروب ساحر الكتب

[sa7eralkutub.com](http://sa7eralkutub.com)

او زيارة موقعنا

## | رسالة رقم ١٩٠٥ |

" لقد عُدنا مرة أخرى، هذا وعدنا الدائم لكل شخص نخلفه، لنا عودة في يوم ما..

تلك الأجساد التي نسيطر عليها الآن في حقيقة الأمر، هي من أصعب الأجساد التي سيطرنا عليها في العشرة مليون سنة المُنصرمة.

أجساد تكاد تكون هشة مُقارنة بالأجساد الأخرى التي سكنها من قبل، لكن رغم هذا نجد صعوبة كبيرة في السيطرة بشكل كُلي عليها، لكن الوضع سيختلف تمامًا قريبًا لقد وجدنا الحل الذي يمكننا من السيطرة على تلك الأجساد بطريقة كاملة وكُلية لا فكاك منها قط..

قريبًا تلك الأرض ستكون لنا كاملة بما ومن عليها لا يشاركنا فيها أحد قط..

فقط سنتنظر لمدة دورة شمسية واحدة وعندها لن نستطيع أحد إيقافنا وسنعود لسيادتنا مرة أخرى،

سنعود لنكون آلهة هذا العالم كما سمانا الأوائل من  
قبل..

لقد عُدنا".

## مصر القديمة

العام الثامن والعشرون قبل الميلاد

"ماذا سنفعل أيها الكاهن الأكبر، نحن في ورطة حقيقية؟"

أثير هذا التساؤل على لسان أحد الكهنة الأربعة الكبار في مصر القديمة وقتها.. كانوا مجتمعين داخل أحد المعابد العظيمة في جنوب البلاد ليناقشوا حدثًا جلاّلاً قد ألم بهم، الجو العام كان متوترًا وما حدث ينذر باشتعال البلاد بأكلمها..

رد عليه الكاهن الأكبر محاولاً انهاء الجدل الدائر بينهم منذ الصباح:

- لا مناص من الأمر لقد ذهب لذلك، سيحنط, ويدفن.

تدخل كاهن آخر في الحديث قائلاً بتعجب:

- هكذا فقط يحنط ويدفن...

- رجلاً كهذا وبكمية الأسرار التي ستدفن معه، يجب أن يقوم بحراسة مقبرته كتيبة من أكفأ رجال الحرس الملكي، فلتفترض أن ذويه قد قرروا يوماً ما الحصول على جثمانه، هل سنتركه لهم؟

رد آخر:

- لن يقبل الملك بهذا الأمر خصوصاً أن علاقته معنا نحن كهنته غير مستقرة، ففكرة أن يترك أفضل رجاله بعيدين عنه وعن العاصمة في أقصى جنوب البلاد، سيكون هذا بمثابة أن تطلب منه التخلي عن أحد أبنائه.

قال الكاهن الأكبر بلهجة العالم بيواطن الأمور:

- حتى إذا وافق الملك على هذا، فإن ترك رجال لحراسة مقبرة سيكون مثاراً للشك والتساؤلات من عامة الشعب، وستتورط فيما لا يحمد عقباه. عامة الشعب لا يجيدون سوى الحديث وإطلاق الإشاعات

صمت الجميع بعد جملة الكاهن الأكبر لقد تعبوا من الحديث وملوا من الكلام، والخوف.. الخوف الذي يلتهم أحشائهم التهامًا بعد موت إيمحوتب، بالتحديد طريقة موته..

فهم الوحيدون في هذا العالم الذين يعرفون من هو إيمحوتب، من أين جاء وكيف أتى..

وما الذي أتى معه من أسرار وعلوم وتقنيات، آثار حضارة بائدة سادت الأرض يومًا ما، تلك الأسرار التي يعلمها الفرعون حتى، فقط هم الأربعة.. وحدثهم من يحوزون الآن السر الأكبر والقوة والمعرفة والعلم، والسحر.

قطع كبير الكهنة الصمت الذي ساد وقتهم لدقائق ليقول:

- كما قررنا سابقًا ما أتى مع إيمحوتب سيدفن مع إيمحوتب. تلك الأسرار التي ستدفن مع إيمحوتب، اذا

وقعت في الأيدي الخطأ فسنعاني الويلات, وسيغضب علينا آمون كما غضب على أسلافنا، وسندمر أنفسنا.

ساد بينهم الفزع وهم يفكرون في تبعات موت مهندسهم الأعظم، فهم يعلمون أن إيمحوتب كان يحميهم بالفعل ويدافع عنهم رغم اختلافه عنهم، لكنه كان يحترم كل مخلوقات الإله...

تحدث أصغر الكهنة سناً بصوت خفيض متردد يكاد يكون همساً وكأنه يخشى آلفصاح عما يدور بداخله:

- لا مفر إذاً، لنفعلها على الطريقة القديمة حتى لا يستيقظ الشر الكامن في بطن الأرض مرة أخرى كما حذرنا المهندس إيمحوتب.

نظر له كبير الكهنة مستحناً إياه على التوضيح أكثر في حين قال آخر متوجساً مما قيل من زميله الشاب:

- لا أعتقد أنك تفكر بهذا، حتى إذا أردنا فلن نستطيع فعلها، أليس كذلك؟



رد عليه الكاهن الشاب بارتباك, وقد بدأت حبيبات من العرق تتكون على جبينه:

- صدقوني لا مفر من ذلك، مهما نفعل فلن نستطيع حماية مقبرته فلا حل أمامنا سوى بأن نستعين بأحد الكيانات السوداء القديمة ونتركه معه لحراسة المقبرة وما تحويه من أسرار وعلوم.

ثم صمت لحظات والجميع يتطلعون إليه بمزيج من المشاعر المختلطة بين الغضب والتعجب والدهشة والخوف مما زاد من ارتبائه فعاد يقول وقد مده صمتهم بجزء من شجاعته المفقودة:

- أعلم أن هذه الطريقة قد توقفنا عن استخدامها منذ عقود، ولكن الأمر جد خطير.. لقد نجونا مرة بتضحيات آلاف من البشر سواء من هذا العالم أو من العالم الآخر، لكن هذه المرة فرصتنا في النجاة ضئيلة للغاية إن عادوا مرة أخرى.

صمت الجميع وقد توقعوا غضبة من الكاهن الأكبر تأتي على الأخضر واليابس، لكن رده أذهلهم جميعًا حتى صاحب الاقتراح نفسه:

- أعتقد أن هذا هو الحل الوحيد المتاح لدينا الآن لإنقاذ الأمور قبل أن تخرج عن سيطرتنا.. اسمعوني جيدًا الآن فيما أقوله، سأنفذ اقتراح زميلنا مع تعديل بسيط.

قالها الكاهن الأكبر وسط ذهول الجميع ثم تابع حديثه:

- منذ ملايين السنين سادت الأرض مخلوقات شرسة قوية، حاول أحد تلك المخلوقات السيطرة على الأرض فجمع جيشًا كبيرًا عرمرمًا مملوء بالبغض والحقد والسواد تجاه سكان الأرض الجدد، ولا يوجد لهذا الجيش الأسود سوى هدف واحد فقط، قتال البشر وإفنائهم تمامًا عن بكرة أبيهم.. كان تعداد البشر وقتها قليل للغاية لكنهم اتحدوا وصمدوا ووقفوا أمام جيش هذا المخلوق الأسود وبالحديد والنار وبعد معركة كبيرة أمام أسوار مدينة بابل صدت فيها السيوف

وسالت فيها بحور من الدماء... دحر أجدادنا هذا الجيش الأسود وتشتيت فلوله في أرجاء الأرض وأصقاعها، أما الكيان الأسود الذي قاد هذا الجيش فقد نجح البشر في تنفيذ الحكم الإلهي عليه ونُفي هذا المخلوق في القاع المُظلم للبحر الكبير المُطل على نهاية العالم.

نظروا إليه بحيره فقد كانوا يعلمون أمر تلك المعركة من المخطوطات القديمة لكنهم لم يعلموا بأمر هذا الكيان الأسود، فسأله أحد الكهنة بصوت حذر:

- نحن نعلم بأمر المعركة وإن كنا لا نعلم بأمر هذا الكيان القوي، لكن اعذرني أيها الكاهن المُعظم، ما علاقة تلك القصة بموت مهندسنا الأعظم إيمحوتب؟

تابع الكاهن الأكبر كلامه متجاهلاً تساؤل كاهنه:

- طريقة استعادة وتحرير هذا الكيان موجودة لدينا وهي أحد أسرارنا العظيمة، فقد كتبها المهندس

إيمحوتب في بردية الأسرار التي تركها لدينا والتي أوصى بدفنها معه.

فهم الجميع ما يرمي إليه كاهنهم الأكبر، فقال أحدهم بحماسة:

- إذن يا سيدي، أنت تريد أن تحرر هذا الكيان الأسود من منفاه في البحر وجعله حارس لمقبرة مهندسنا إيمحوتب لحماية الأسرار التي معه؟

وقال كاهن آخر:

- وماذا إن أصبح هذا الكيان حرًا، ولم نستطع السيطرة عليه وحاول هو إعادة الكرة مرة أخرى بجمع جيش من الموالين لهو محاولة إعادة اجتياح الأرض مرة أخرى، ماذا سنفعل وقتها؟ بهذه الطريقة سوف تضيع تضحيات ودماء الأجداد التي بذلوها في سبيل إيقاف هذا الكيان هباءً منثورًا.

انتظر كبير الكهنة حتى انتهوا من موجة الاعتراض الجماعي التي قامت ضده ثم قال معاتبًا إياهم:

- الصبر من الفضائل التي على الإنسان أن يتعلمها يا  
 خدم الإله.. لو انتظرتهم حتى أنهى كلامي.. كنتم  
 ستعرفون فيما أفكر، أنا لم أقل أننا سوف نُحرر هذا  
 الكيان من منفاه الإلهي، بل ما أفكر فيه فعليا هو تغيير  
 مكان نفي هذا الكيان، من ظلمات البحر الكبير إلى  
 مقبرة إيمحوتب، وهذه ستكون أقوى حماية لمقبرة  
 مهندسنا الأعظم..

تلاقت فيما بينهم نظرات غير مقتنعة بما يقوله  
 كبيرهم الذي عاد ليقول:

- سأكرر عليكم مرة أخرى.. ما جاء مع إيمحوتب  
 سيدفن مع إيمحوتب فما لديه قادر على إفناء البشرية  
 تمامًا، الشر الكامن تحت الأرض إذا استيقظ لن يجد  
 من يردعه أبدًا.. لذلك فوجود هذا الكيان هو أول وآخر  
 خط دفاع لدينا ضد هذا الشر القديم، وإذا تذكر أحدكم  
 ما درسناه عن هذا الشر القديم الذي قضي على قوم  
 إيمحوتب قبل مجيئه إلى مصر فانه سيدرك على الفور  
 أنه من الخير مُجابهة ذلك الكيان الأسود القديم عن  
 مُجابهة ما يعيش تحت الأرض..

كلامه صحيح، هو يدرك ذلك وكهنته أيضًا فقد كاد الشر القابع تحت الأرض إفناء العالم بأكله منذ سنوات قليلة لكن قوم إيمحوتب نجحوا في وقف زحف هذا الشر وكبحوا جماحه..هم يعلمون ذلك، ويعلمون أن الشر لو استيقظ فهم هالكون لا محالة..

بعد لحظات قاسية وطويلة من الصمت قال الكاهن الأكبر:

- خطأ نداوي به خطأ آخر خطيئة نأمل من الإله أن يغفرها لنا، ويحمينا من الشر.

ثم حياهم وأشار لهم بأن ينصرفوا وجلس وحيثًا يشعر أن هناك شيئًا ما خاطئًا ولكنه عاجز عن معرفته أو تفسيره.

وهناك في أحد أركان عقل الكاهن المظلمة، جلس هو يستمع إلى ما يقال بتركيز ودقة شديدتين فهو سينتظر، لقد خلق لينتظر..

سينتظر الفرصة المناسبة حتى يحين الوقت, وبعدها سيعود مرة أخرى، لكن هذه المرة بلا أخطاء تمامًا.

\*\*\*

في أحد أكثر بقاع المحيط، عمقًا وبرودة وظلامًا.. وسط عشرات المخلوقات الني لم يتصور وجودها البشر.. جلس (هو).

جلس على رمال القاع بجناحين مقيدتين بسلسلة حديدية هائلة سوداء اللون ملتصقة بالقاع من تحته، لا سبيل للفكاك منها.

قرناه مكسوران، الأغلال تحيط بعنقه مُقيِّدةً يديه بقدميه.

بعيدًا (هو) كلُّ البُعد عن أرضه البعيدة وشعوبه وقبائله التي تُدين له بالولاء، يسمع همس من همس له بالمرّة الأولى أن ينتظر، من كان سبب عقابه وبلائه، تخلى عنه في الماضي ويريد أن ينتظره في الحاضر ليكرر تخليه عنه في المُستقبل ولكن هيهات.

هو مُعاقب ومنفي، جالسًا يتلقى هذا العقاب بنفسكاد  
تكون راضية بحكم إلهي قد نفذ.

(هو) يعلم إنه مُخطئ ويعلم أنه يستحق العقاب..

جالسًا في مكانه منذ آلاف السنين..

ينتظر... فقط ينتظر.

أن يعود يومًا ما..

ويتمنى ألا يطول انتظاره..

وقد أقسم أن يصم أذنيه عن الهمسات، إلى يوم فئائه.

\*\*\*



تمرد

الصحراء الشرقية.

مصر المُحتلة.

مقر قيادة المقاومة المصرية في المنطقة الشرقية.

٢٠٤٨م

داخل غرفة زعيم فصائل المقاومة في شرق مصر،  
جلس رجلان على طاولة معدنية صغيرة متقابلان  
وجهًا لوجه، أحدهما كان متوسط البنيان والقامة،  
خمري البشرة، عيناه زرقاوان تميلان إلى الرمادي، بهما  
شحوب خفيف بينما يكاد صوته يكون همسًا حتى إنك  
تضطر إلى إرهاف سمعك إلى آخره كي تتبين ما  
يقوله..

بينما الآخر كان نحيلًا أبيض البشرة شاحبها..

زُرقة عيناه بلون السماء..

ملامحه جامدة وشعره الناري الطويل يعطيه مظهرًا غريبًا منفردًا.

تحدث الأول قائلاً:

- أتطلب مني خيانة عهدي وقسمي يا سيد ضياء؟  
تطلب مني خيانة قائدي وخذلان رجالي وقومي؟

قال الثاني بلهجة هادئة وناعمة بصوت منخفض:

- أنا اسم على مسمى أيها القائد، أنا أحمل الضياء وأعطيه من يستحقه، رأيت فيك الفروسية والنبل وتوسمت فيك الشجاعة والقوة التي تؤهلك من وجهة نظري أنا وجماعتي لكي تكون لك القيادة واليد العليا في حرب التحرير العظمي القادمة، الحرب على الأبواب يا سيد سياف.

قال سياف بحدة وهو ينقر بأصابعه الطويلة على الطاولة:

- من أنت؟ ومن جماعتك؟

قال ضياء بطريقته الناعسة:

- أنا مُجرد خادم مخلص للوطن وللمقاومة، أود أن أنير لك الطريق، طريق القتال الحق يا سيدي، وجماعتي ستعرفها في الوقت المناسب لكنك قد رأيت هداياها للمتعاونين وللحلفاء..

عاد سياف بذاكرته إلى يومين مضيا حيث جاء ضياء هذا بمدرعة غريبة الشكل وقوية البدن، واقتحم بها حرم مقره طالبًا مُقابلته، ونزل سياف يحيط به العشرات من رجاله لمقابلة هذا الغريب الذي قال إنه لديه رسالة من جماعته المُخلصة للبلاد ولمجلس قيادة المقاومة الحالي إلى ثاني أقوى رجل في مصر وأنه قد جاء بعدة هدايا قيمة تشریفًا لمقام السيد سياف أولها كانت تلك المدرعة التي حاول رجاله اصابتها لكن رصاصاتهم ارتدت عن هيكلها خائبة، بالإضافة إلى عدة بنادق آلية، رصاصها له قوة تفجيرية مُدمرة.

خاف الرجال الذين لا يهابون الصحراء من ضياء، وارتجف قلب سياف، وما زال يرتجف، لكنه قائد

المقاومة في شرق مصر لا ينبغي أن يظهر خوفه أو  
وجله لأي مخلوق كان..

انقطع سيل ذكريات سياف عن تلك النقطة ونهض من  
فوق مقعده وهو يقول بصوت تملؤه الكبرياء:

- لقد قاتلت في صفوف المقاومة لما يزيد عن الخمس  
سنوات، وصرت أقوى ثاني رجل في مصر كلها، يؤتمر  
بأمري آلاف الرجال.. لديّ قضية أقاتل في سبيلها وأنا  
مؤمن بها تمام الإيمان، مُخلص لقادتي وقومي، لماذا  
أفعل ما تقترحه عليّ إذن؟

نهض الرجل النحيل الذي يدعي ضياء مقتربًا من  
سياف وهو يقول له:

- أتري إلى ماذا وصلت حال المقاومة يا سيدي، نصف  
القاهرة تحت سيطرة المعاطف السوداء والإسكندرية  
بأكملها تحت سيطرة الذئاب والجميع يفعل ما يحلو له  
بدون الرجوع إلى قيادة المقاومة التي أصبحت مجرد  
صورة وواجهة خارجية براقه فحسب لتخدع الشعب

وتجعل الناس يحافظون على ولائهم الفعلى للمقاومة،  
حسبتك وجماعتي ذكياً يا سيدي، لقد انتهت المقاومة  
فعلياً منذ سنوات..

رد عليه سياف بصوت حاول أن يغلفه بالهدوء:

- أنا قد أكون غير راضٍ عن مجلس قيادة المقاومة  
الحالي، لكنني لن أخون قسمي أو عهدي أبداً، لقد  
قدمت لنا المقاومة في القاهرة تضحيات، لا بد من  
تشریفها وتكریمها للأبد.

نظر له ضياء نظرة طويلة واقترب منه أكثر حتى شعر  
سياف بأنفاس الأول على جلد وجهه فتراجع مبتعداً  
عنه، إلا أن الأخير قد أمسكه من يده بقوة مفاجئة  
مجبراً إياه على الاقتراب منه مره أخرى وهو يقول  
بصوت هامس به فحيح:

- إنهم فقط يتحينون اللحظة المناسبة حتى ينقضون  
عليك، إنهم لا يريدون في موقعك هذا رجل قوي،  
يتحكم في نصف موارد البلاد دفعة واحدة، إنهم

يريدون دمية يحركوها كيفما ومتى أرادوا، وعندما يقتحم رجالهم أسوارك، عليك فقط أن تتذكر مقابلتنا التي حدثت اليوم ياسيدي.

ثم أفلت يد سياف الذي أعاد يده إليه مدلغًا إياها وقد تملكه الخوف والرهبة غير المبررين في حين خرج الرجل النحيل من الغرفة صافقًا بابها خلفه.. نظر سياف إلى موضع يد النحيل التي تركت آثارها واضحة عليه وهو يشعر أن هذا الضيف سيكون السبب في خراب كل ما بناه ذات يوم.

\*\*\*

## تحت الاحتلال

أطلال القاهرة الجديدة سابقًا.

مصر المُحتلة.

٢٠٥٠ م.

داخل أحد المستعمرات البشرية الواقعة في الجزء غير المحتل في البلاد والخاضع لنفوذ البشر، التف عدد من الشباب لا تتجاوز أعمارهم العشرين عام، يرتدون ملابس سوداء تلتصق بأجسادهم.

في دائرة حول رجل أشيب الشعر والذقن تتجلي عليه ملامح الهيبة والوقار والحكمة ولمحة من القوة لم تستطيع السنون إخفائها أو قتلها رغم وصول عمره لل سبعون ربيعًا.

ارتفع صوت الرجل العجوز قائلاً:

- علمنا فيما بعد ان تلك المقبرة الفرعونية كانت تخص الحكيم (إيمحوتب) وكانت تحتوي على بقايا حضارة مندثرة، حضارة سادت الأرض قبل ملايين السنين من ظهور الإنسان ولكن تلك الحضارة اندثرت لسبب مجهول..لم نستطع حتى الآن على التعرف على هذا السبب.

ثم صمت للحظات مستجمعًا أفكاره واستطرد:

- كانت البداية في صندوق وضع داخل المقبرة بأوامر من إيمحوتب نفسه، صندوق محمي من قبل القدماء المصريين، كان هذا الصندوق يحوي عينة من تلك الحضارة البائدة، حملها معه إيمحوتب بعد الحرب الضروس التي خاضها قومه نيابة عن البشرية وقتها، وبعد آلاف السنين تسبب طمع البشر وجشعهم في فتح ذلك الصندوق مرة أخرى، وصب اللعنة على مصر أولاً ومن بعدها انهار العالم بأكمله وسقط.

كان الشباب تبدو على وجوههم علامات التركيز الشديد والإنصات لما يقوله الرجل العجوز فقد كان ما



يحكيه بالنسبة لهم هو التاريخ، تاريخ مصر الحديث الذي لم يعاصره أيٌّ منهم، فهم من يطلق عليهم لقب (مواليد المُستعمرات) أي من تمت ولادتهم داخل مستعمرات المُقاومة بعد اندلاع الأحداث، لكن لقبهم الرسمي كان (المتدربين الجدد) فهؤلاء الشباب يخضعون لتدريبات قوية ومكثفة وبعد اجتياز الاختبارات يتم تشكيل منهم وحدات للإغارة على الاحتلال ووحدات حراسة ودوريات أمنية داخلية وخارجية..

استمر العجوز في سرد التاريخ الذي عايشه قائلاً:

- كان هذا الصندوق المعدني مثل صندوق (بندورا) الأسطوري، بفتحه انطلقت تلك الطفيليات تسيطر على أجساد البشر، تمحي ذاكرتهم وتسلب عقولهم وتجردهم من إنسانيتهم.. أصبح البشر مُسيطر عليهم سيطرة تامة من قبل تلك الطفيليات، ودفعت البشر إلى قتال بعضهم البعض بأسلحتهم التي اخترعوها، انقلب البشر على بعضهم البعض وسقطت مدننا التي شيدها واحدة تلو الأخرى، ولم تشفع لنا جيوشنا أو

عتادنا في وقف النهاية المحتومة، وكانت بداية نهاية عصر الإنسان على يد مخلوق من مخلوقات الله بحجم الذرة، لم يتعظ الإنسان ولم يرجع إلى فطرته وطغي وتجبر ونسي أن كل مخلوق له يوم سيزول فيه، وينتهي كل شيء..

ثم شعر أنه يقسو على الشباب بلا جريرة منهم فعاد يقول:

- البعض منا طالح وقد عوقب والبعض صالح، وقد أمدّه الله الصالحين بالقدرة على الاستمرار والمثابرة، لذلك لم نياس ولم نستسلم وقاتلنا.

تعلقت عيون الشباب به وهو يستطرد:

- لقد قاتلناهم بكل ما اوتينا من قوة وبأس وتكنولوجيا تبقت لنا ولم نسمح لهم بإبادتنا وضحي آلاف البشر بأرواحهم في سبيل بقاء الجنس البشري.. بنينا مُستعمرات بعيدة عنهم، بدأنا في بناء حضارتنا المسلوّبة منا مرة أخرى، نظمنا حياتنا وعادت إلينا

الكثير من الأشياء التي فقدناها.. بيننا رجال أقسموا على الانتقام, وقد أقسموا وسيبرون بقسمهم هذا مهما يكلفهم, وأنتم جزء من هذا القسم أيضًا، يومًا ما سيقع العبء بأكلمه على أكتافكم أنتم، فاستعدوا لهذا اليوم، ولا تعلمون كم أن هذا قريب.

صدر أزيز خافت من ساعة يرتديها العجوز فنظر إليها مليًا لثوانٍ ثم تطلع إلى الشباب مرة أخرى وقال لهم وهو يصرفهم:

- حسنًا، الآن يجب أن تعودوا إلى ساحة التدريبات مرة أخرى وتذكروا كلماتي جيدًا، أنتم درع وسيف البشر القادم وقريبًا ستكونون رأس حربتنا ضد الاحتلال لذلك استعدوا وتدربوا جيدًا، هيا انصرفوا سريعًا..

امثلوا إلى أمره على مضض وبدا عليهم التذمر وإن لم يعلنوا هذا بطريقة واضحة له فهم يحبون هذا الرجل الأشيب ولا يشبعون من مُحاضراته الأسبوعية

معهم، فهو يعلمهم التاريخ.. التاريخ الذي لم يعايشونه  
برغم قربهم لهم ..

فهم من هربت عائلتهم من نير الاحتلال لتتلقفهم  
المقاومة ليكونوا نواة مصر الجديدة، لكن كما قال  
العجوز، يوم الخلاص قريب ويجب أن يكونوا  
مستعدين..

تنهد العجوز ونهض بتثاقل صنعتته سنوات عمره التي  
جاوزت السبعين وهو يدعو الله أن يرى ذلك اليوم  
التي تعود فيه الأمور إلى ما كانت عليه، وسيكون  
راضياً حتى إذا مات في نفس اليوم.

المهم أن يعود كل شيء إلى ما كان عليه.

ولكم هذا صعب، إن لم يكن مستحيلاً..

\*\*\*

## الحل

خرج حسان أحد علماء المقاومة النوابغ من معمله الواسع والجدران البيضاء الناصعة الممتلئ بالحواسيب والشاشات والأجهزة الأخرى ولسان حاله يقول: (وجدتها) مثل ما فعلها قبله بمئات القرون العالم الإغريقي أرشيميدس..

كانت المقاومة في بدايتها تقوم بعملية فرز منظمة للناجين حسب تخصصاتهم، أطباء ومهندسين وعسكريين سابقين ومعلمون وباحثين، وكل من له حرفة يدوية..

كل هؤلاء تم الاستفادة مما لديهم من علوم وخبرات، بل علموا أيضًا الآخرين، وأصبح هناك نظام تعليمي شبه متكامل داخل المُستعمرات غير فعال كسابقه ولكنه يفي بالغرض ويسد الاحتياجات المُتزايدة لدى قادة المُستعمرات.

كان حسان أحد الأساتذة بكلية العلوم بجامعة القاهرة وله أبحاث عديدة في علم الذرات والأشعة، رجل شديد الذكاء وواسع الحيلة والمعرفة كما انه مطلع على كل العلوم الأخرى، البعيدة عن تخصصه.

عثرت عليه أحد دوريات المقاومة التي كانت تبحث عن الناجين في قلب القاهرة، وقامت تلك الدورية بجلبه إلى المُستعمرة الرئيسية للمقاومة في أطلال مدينة القاهرة الجديدة..

هرول حسان عبر الممر الضيق الطويل الموصل بين الإدارة العلمية للمقاومة وبين غرف قيادتها، ثم انعطف يمينا في أحد الممرات المنتشرة والمتفرعة من الممر الرئيسي الطويل وتوقف أمام باب الغرفة الوحيدة بذلك الممر، يقف على بابها المغلق رجلان ضخما الجثتين ومسلحان بينادق آلية يقفان بتحفز غير مبرر..

كانت تلك غرفة قائد المقاومة المصرية ورئيس مجلسها وزعيم جميع فصائل المقاومة:

اقترب حسان من أحد الحارسين وهو يقول بسرعة  
وبلهجة فرحة:

- شديد أخبر القائد انني اريد رؤيته، الأمر مهم للغاية  
يا صديقي، هيا.

نظر له شديد بنظرة باردة ولم يرد عليه فهو يعلم تمامًا  
مدى غرابة شخصية حسان برغم ذكائه الحاد فإن  
قامته القصيرة تتحد مع جسده البدين وشعره المبعثر  
في كل اتجاه، وعينييه المختفيتين وراء زجاج عويناته  
تخلف وراءها منظرًا يجعل كل من يراه يقسم أنه  
مجنون أو آبله وليس أحد أهم علماء المقاومة.

قال له الحارس الآخر بخشونة مُبالغة:

- القائد يستريح الآن فهو عائد للتو من إحدى جولاته  
الخارجية، عُد في وقت لاحق أيها العالم.

لم يعره حسان انتباهًا وعاد يقول لشديد:

- يا شديد أرجوك الأمر جد همم ولا يحتمل التأخير..  
أرجوك صدقني.

فرح شديد من تجاهل أحد كبار علماء المقاومة لزميله  
بينما استحوذ هو على حديثه واهتمامه فقال له  
بصوته الأجش المناسب لجسده الضخم:

- أعلم يا دكتور حسان أن الأمر لو لم يكن مهمًا فسوف  
نعاقب نحن الثلاثة، القائد لا يتهاون في العقاب كما لا  
يتأخر عن الثواب.

رمى الحارس الآخر شديد وحسان بنظرة غاضبة ثم  
أشاح بوجهه بعيدًا عنهما مكتفيًا بالمتابعة من بعيد  
وعدم التدخل في الأمر وهو يطلق سبة بصوت  
منخفض..

نظر له حسان بامتنان وهو يقول له بثقة:

- لا تقلق من هذا الأمر يا شديد، منذ متى وأنا أزعج  
حضرة القائد بمقابلات لا فائدة مرجوة منها، أكرر ألا  
تقلق على الإطلاق..



رماه شديد بنظرة أخرى باردة ثم قال:

- جيد، سأدخل إلى القائد الآن واخبره برغبتك في رؤيته، أرجو ألا تدعني أندم على هذا التصرف يا سيد حسان.

ولم ينتظر منه ردًا، بل طرق على باب الغرفة بهدوء طرقتان حتى أتاه صوت قائده من الداخل يأذن له بالدخول.

فتح شديد الباب ودلف إلى الغرفة مُغلقًا بابها مره أخرى تاركًا حسان الذي حاول وضع أذنه على الباب ليسترق السمع لكن الحارس الآخر زجرة بزمجرة مخيفة أعادت حسان خطوتان للخلف مرتكبًا ومبتسمًا ابتسامة بلهاء..

كان البعض يقول إن حسان قد فقد عقله عندما ماتت عائلته من الجوع في أثناء حصار القاهرة الأول، وللبعض الآخر يقول إنه ليس عالمًا ولا مُتعلّمًا من الأساس ولكنه ادعى ذلك ليأخذ مكانة عالية لا

يستحقها وسط قادة المقاومة، والبعض يقول إنه عالم بحق فمن سمات العلماء - حسب وجهة نظرهم - إنهم غريبو الأطوار، يلعبون على الحافة بين الجنون والعبقرية..

غاب شديد لدقيقتان داخل غرفة القائد ثم خرج وهو يشير إلى حسان بأن يدخل ليقابل القائد..

انتفض حسان فرحًا وتهللت أساريره، فمن النادر أن يقابل قائد المقاومة أي شخص مهما تكن أهميته في أيام الجولات الميدانية التي يخوضها خارج المستعمرة لزيارة المُستعمرات والمعازل القريبة الخاضعة له ولسلطة المُقاومة..

هرول حسان باتجاه باب غرفة القائد ثم توقف امام شديد وربت على كتفه بقوة، وتخطاه ليدلف إلى غرفة القائد وأغلق الأخير الباب خلفه فور دخوله وعاد إلى موضعه السابق بجوار الباب ثم نظر إلى زميله وقال له:

- ربما الأمر مهم بالفعل..

لم يعلق زميله، واكتفى بأن يشبح بوجهه بعيدًا فقط دون أن يتفوه بحرف واحد..

في الداخل وجد حسان القائد جالسًا على كرسي خشبي صغير وأمامه منضده كبيرة يستخدمها كمكتب له عليها العديد من الأوراق والخرائط والكتب والعديد من الأشياء الأخرى التي لم يتبينها..

قائد المقاومة ليس كبيرًا بالسن، وهذا ما كان يجعل حسان يتعجب من كيفية أن يكون هذا الرجل الذي لم يتخط الخامسة والأربعين من العمر بعد هو القائد العام لفصائل المقاومة المصرية، تحت إمرته مباشرة ما يقرب من الألف رجل مسلحين ومُدرِّبين تدريبًا عسكريًا لا بأس به، دون الأخذ في الاعتبار تعداد رجال باقي فصائل وجماعات المقاومة الموالية له في جميع أنحاء مصر المُحررة..

نظر القائد لحسان ثم تبسم في وجهه داعيًا إياه لسحب كُرسيًا والجلوس قبالته على مكتبه المُتواضع.. جلس حسان أمامه وهو يتأمل ملامحه الحادة وبشرته السمراء وشعره القصير وذقنه المهذب بعناية فائقة، لم يكن حسان يتخيل أنه الآن في حضرة أقوى رجل في مصر الآن.

تأمله حسان طويلاً، هو لا يعلم كيف تمكن هذا الرجل من الوصول إلى ما هو فيه الآن، كل ما تناهى إلى مسامعه من شديد الحارس الشخصي لقائد المُقاومة بأن هذا الرجل كان من الأوائل الذين قادوا المصريين للهروب من الحصار الذي فُرض عليهم إبان سقوط القاهرة..

"شديد يقول إنك جئت تطلب رؤيتي لأمر مهم"

سأله القائد بنبرة هادئة وقوية، مُقاطعًا سيل أفكاره.

تلعثم حسان قليلاً لكنه جمع شتات نفسه وقال:

- أجل يا حضرة القائد، لقد طلبت هذا بالفعل من شديد.

ثم تلفت حوله مما جعل القائد يطلق ضحكة قصيرة وهو يقول:

- لا تقلق يا حسان لن يتنصت أحد على حديثنا.

ابتسم حسان بارتباك وهو يقول بصوت مرتبك:

- اعذرني يا سيدي، سأدخل في صميم الموضوع مباشرة كي لا أضيع وقتك الثمين، أنت تعلم بالطبع يا سيدي..

قاطعه قائد المقاومة بهدوء:

- أنا لست سيدًا لأحد يا دكتور حسان، في عالمنا الجديد ليست هناك سيادة لأحد على أحد.

زاد ارتباك حسان فابتسم له القائد وقال بهدوء:

- اعذرني على مقاطعتك يا دكتور، فأنا مُرهق بعض الشيء.. تفضل بإكمال حديثك.

أخذ حسان شهيقًا عميقًا مُحاولًا السيطرة على أعصابه، فلهذا الرجل الجالس أمامه هيئة كفيلة بإخضاع أشجع الشجعان له فما بالك بحسان الذي يخاف من ظله، عاد حسان يقول بعد أن استعاد سيطرته على أعصابه:

- هناك عالم ألماني قد قام قبل سقوط العالم بعدة أشهر بإطلاق نظرية، باختصار شديد، تلك النظرية تقول أن تلك الطفيليات قد سقطت مع نيزك على أرضنا منذ ملايين السنين، وكانت هناك عينة منها في مقبرة الحكيم المصري القديم (إيمحوتب) وعند فتح المقبرة وجدت تلك الطفيليات الفرصة للخروج مرة أخرى، المهم ولكيلا أطيل عليك فقد وضع هذا العالم تصميم مبدئي لسلاح قادر على قتل تلك الطفيليات وتحرير الجسد البشري منها دون الإضرار به.

نجح كلام حسان في جذب كل ذرة اهتمام لدى قائد المقاومة فتوجه بجسده ناحية حسان واعتدل في جلسته حائثاً إياه على إكمال الحديث..

تهللت أسارير حسان لقبول القائد كلامه فاندفع بسرعة يقول:

- لقد أخذت أبحاثه ونظريته كافة التي وضعها عن طريق الإنترنت قبل انقطاع جميع وسائل التواصل العالمية وقمت بدراساتها أنا والعديد من علماء المقاومة ووجدت أن هناك إمكانية لصنع سلاح واحد من هذا النوع نظرًا لضعف مواردنا الأولية بشدة.

كانت ملامح القائد تحمل مزيج مختلف من المشاعر لكنه أخفى كل هذا تحت قناع من الصلب وهو يقول بصوت هادئ:

- لقد سمعت عن هذا العالم الألماني ونظريته ولكنني سمعت أيضًا أنه قد قتل عندما سقطت برلين أو هذا ما

قبل وقتها، وبعدها بعدة سنوات أصبح الحديث عن هذا السلاح درب من دروب الأساطير والخرافات..

صمت للحظات ثم استطرده بمرارة:

- السلاح الذي سوف يقضي على الاحتلال في عدة شهور، السلاح الخارق، آخر أمل للبشرية.

نظر بحزن إلى حسان الذي لم تتغير ملامحه إطلاقاً وعاد يقول بصوت متحمس قليلاً:

- لكنك الآن تقول إن هذا السلاح تستطيع صنعه، أليس كذلك؟

رد حسان بصوت تملؤه الحماسة:

- أجل، أستطيع صنع نموذج واحد من هذا السلاح يا سيدي، أريد فقط الضوء الأخضر لبدء جمع الموارد لصنعه..

نظر إليه القائد مطولاً ثم قال:



- معك الضوء الأخضر للبدء في صنع هذا السلاح، ولكن أولاً سنعقد اجتماعاً صغيراً تكرر فيه ما قلته لي نصّاً وباستفاضة شديدة، ولكن لبعض الأشخاص الذين أعتقد أنهم سيهتمون أيضاً بهذا الأمر.

قرنَ قوله بان قام بضغط زر صغير في ساعته بترتيب معين وقال:

- نتقابل بعد نصف ساعة من الآن لمناقشة ما لديك يا سيد حسان في قاعة الاجتماعات الكبرى.

أوماً حسان برأسه موافقاً، وهو يشعر أن دوره في كتابة التاريخ الحديث يوشك أن يبدأ..

\*\*\*

حلم

عام ٦٠٢ ق. م

قارة أطلانتس (الجزيرة المفقودة)

في قاعة مرمية جدرانها بيضاء اللون متألئة، ذاتية الإضاءة ذات سقف مرتفع..جلس الإمبراطور (مينارهييس) آخر إمبراطور لقارة أطلانتس وآخر سلالة عائلة (هيس) الإمبراطورية التي خضعت لها العديد من حضارات كوكب الأرض.

مع كبير علمائه ومستشاريه من اسماه المصريين القدماء باسم (إيمحوتب).

كان مینار يرتدي تاجًا مصنوعًا من معدن أسود براق تزين مقدمته عدة أحجار كريمة وكان يرتدي رداءً من قطعة واحدة أحمر اللون تتطاير وراءه حرملته السوداء كلما تحرك جيئةً وذهابًا بعصبية واضحة أمام

عرشه الكبير المصنوع من البلور النقي الشفاف بتقنية لم تعرف لها الأرض مثيلاً قط.

كان إيمحوتب واقفاً بهدوء شديد يراقب إمبراطوره الذي توقف فجأة وهو يقول:

- انتشار هذا المرض بين أبناء شعبي يقلقني أيها الحكيم، كيف لم تستطع تقنياتنا المتقدمة السيطرة على هذا الوباء؟

تنحنح إيمحوتب وقال برصانة:

- لقد جابهنا ما هو أقوى من ذلك عند بداية استقرارنا على هذا الكوكب يا مولاي، لا تدع هذا الأمر يقلقك..

كان القلق يعصف بنفس إيمحوتب بعد زيادة عدد المُصابين بهذا المرض، التي تتشابه أعراضه مع أعراض أحد الفيروسات الأرضية، لكن الفرق أن الفيروس الجديد مُميت، لم يحاول إيمحوتب إظهار قلقه لإمبراطوره فقال:

- وقد واجهت عائلتك أنت شخصيًا يا مولاي ما هو أصعب وأشرس عند بداية حملتكم للسيطرة على الأراضين الست.

هز مینار رأسه وهو يقول:

- أنت لا تعلم أيها الحكيم، إنها تلك الأحلام اللعينة مرة أخرى، إنها تطاردني..أرى الأموات ينهضون من القبور والديدان تنخر أبدانهم، ليجتاحوا مملكتي ومُلكي.

رد عليه إيمحوتب وقد بدأ القلق يغزو ملامحه:

- لقد انتهت تلك الحضارة يا سيدي لن تعود أبدًا، لقد أفنينا منهم ما استطعنا إفناءه والبقية اختفت، ثم إن الأوضاع مختلفة تمامًا عن آخر مرة حاولوا فيها الإفاقة من سباتهم لا تقلق.

بعد لحظات طويلة من الصمت رد عليه الإمبراطور بصوت مرتجف:

- الأمر أعقد مما تتخيل يا مستشاري الأعلى.

قال إيمحوتب بصوت هادئ محاولاً تهدئة إمبراطوره:

- لا تقلق يا سيدي، أنا أجري أبحاثي حول هذا المرض،  
وقريبًا جدًا سنكتشف كل شيء حول هذا المرض،  
وسنسيطر عليه وسيعود الهدوء مرة أخرى إلى  
أراضيك..

هز الإمبراطور رأسه في أسى وهو يقول:

- أنت ينبغي لك أن تقلق أيضًا، فهم سيأتون. أنا مُتيقن  
من هذا.

\*\*\*

داخل قاعة الاجتماعات الكبيرة في مقر المقاومة  
الرئيسي على أطراف مدينة القاهرة المحتلة، جلس  
على طاولة الاجتماعات كلٌّ من قائد المقاومة والرجل  
العجوز وشديد الحارس الشخصي لقائد المقاومة  
المصرية بالإضافة إلى العالم حسان..

كان الجو العام متوتر فلم تكن هناك دلالة لهذا الاجتماع سوى أن هناك أمرًا جليلاً قد حدث، فلم يكن قائد المقاومة يعتقد أن يجتمع بهم إلا في أحلك الظروف وأشدّها.

افتتح قائد المقاومة الحديث موجهًا الكلام لحسان:

- دكتور حسان هل لك بأن تعيد ما ألقيته على مسامعي قبل قليل حتى يكون الجميع على علم بما سنفعله.

تنحى حسان وعدل من ملابسه وكأنه دكتور جامعي يلقي محاضرة على بعض الطلاب، ابتسم ابتسامة مرتبكة وهو يقول:

- الأمر يتلخص في أنني نجحت في تصميم سلاح قادر نهائيًا وبشكل جذري على قتل الطفيليات وإنهاء الاحتلال بشكل تام..

قطع كلامه ثم عاد يقول بصوت أكثر ارتباكًا:

- أنا أعني.. ليس هذا ما قصدته بالضبط، ولكنني أستطيع صنع نموذج من هذا السلاح.

اتسعت أعين الجميع في فرح ودهشه ما عدا القائد الذي سمع هذا الحديث من قبل وكان أول من نجح في التخلص من دهشته كان الرجل العجوز الذي قال بصوت هادئ ووقور:

- هل لنا بمزيد من التوضيح يا سيد حسان؟

نظر إليه حسان باحترام وهو يقول:

- بالتأكيد يا سيد فاضل.

ثم نهض من مقعده وهو يوزع نظراته بين الجلوس قائلاً:

- عند اندلاع الأحداث وسقوط أغلب مدن مصر تحت نير الاحتلال من قبل تلك الطفيليات حاول العديد من علماء العالم مد يد العون لنا عن طريق قيامهم بالأبحاث والدراسات ومحاولة فهم طبيعة الوباء الذي

ضرب بلادنا، حد هؤلاء العلماء كان عالم الماني وضع تصميم مبدئي لسلاح يطلق موجات صوتية قادرة على فصل الطفيلي عن خلايا الكائن المعيل له فيتسبب ذلك في قتله أو ربما قتل العائل والمعيل، لكنه لم يستطع إثبات هذا أو ذلك!

صمت لبرهة ليزدرد لعابة وعاد يقول:

- قبل أن يكمل هذا العالم أبحاثه حول هذا السلاح كانت قد سقطت المانيا وقتل هذا العالم، ولكنه كان قد نشر جزءًا من أبحاثه على موقعه الإلكتروني، وقد نجح أحد زملائي بالحصول على صور من تلك الأبحاث ومن ثم عرضها عليّ، وبعد مدة طويلة للغاية قضيتها في دراسة أبحاث ونظريات هذا العالم توصلت إلى إننا نستطيع صنع نموذج واحد من هذا السلاح نظرًا لمواردنا المحدودة، مع العلم أن نموذج واحد من هذا السلاح قادر على تحرير القاهرة في غضون عدة أيام..

ظل الصمت يخيم على الجميع إلا أن قال شديد:



- حسنًا، ما دام يمكننا صنع سلاح يمكنه قتل هؤلاء الأوغاد فلنفعل ذلك ما جدوى الاجتماع إذن، لن نعارض حدوث مثل هذا الشيء أبدًا..

رد عليه قائد المقاومة قائلاً:

- بالتأكيد ولكن..

قاطعته حسان بطريقة خالية من الذوق:

- هناك عدة مشكلات ستواجه مسعانا لصنع هذا السلاح.

تغاضى القائد عن أسلوب حسان الفج وعاد ليسأله:

- مشكلات، أنت لم تحدثني عن أي مشكلات ستقابلنا في طريقنا لصنع ذلك السلاح؟

عادت خيبة الأمل تحتل مكانها الطبيعي في وجوه الجالسين عدا حسان الذي قال بحرج:

- اعذرني يا حضرة القائد فمن حماسي الزائد نسيت أن أعرض عليكم الأمر من نواحيه كافة وجوانبه السلبية قبل الإيجابية.

وعاد ليتقمص دور المحاضر مرة أخرى وهو يقول بثقة:

- إذا صحت دراسات هذا العالم الألماني وأبحاثه فإن أحد أهم مكونات السلاح موجودة داخل صندوق مقاوم للإشعاع في مقبرة المهندس إيموحتب في المنيا.

طغى الضيق على صوت قائد المقاومة وهو يقول:

- تلك المقبرة المشؤومة التي بدأ عندها كل شيء.

أوما حسان برأسه موافقًا وهو يقول:

- نعم، فحسب بحث العالم يقول إن (إيموحتب) هو أحد سكان قارة أطلانتس الغارقة، وقد نجا من المواجهة التي حصلت بين قارته وبين تلك الطفيليات

ومعه صندوق يحتوي على معدن قادر على احتواء تلك الطفيليات وشل حركتها تمامًا، بالإضافة أيضًا إلى وجود بردية كتبها مع كبير الكهنة الفرعوني في وقتها تحتوي على تصميم مماثل لسلاح كان يود صنعه من أجل تلك الطفيليات وكأنه كان يعلم بانها ستعود مرة أخرى.

أنهى جملته وصمت ليخيم الصمت على الجميع ليعود الحكيم فاضل قائلاً:

- إذن أنت تود الذهاب إلى مدينة المنيا تحت سمع وبصر الاحتلال لتذهب إلى المقبرة وتأخذ منها الصندوق والبردية وتعود مرة أخرى لصنع سلاحك، أليس هذا ما تقصده؟

رد شديد:

- يمكننا أخذ مسارات بعيدة عن أعين الاحتلال، ثم إنه فعليًا نحن في منطقة خارج نفوذ الاحتلال فلا خوف

على من يخرج في الطريق من المستعمرة إلى المنيا  
على ما أعتقد.

قال الحكيم فاضل:

- أعتقد أن معلومتنا عن أمن شبكة الطرق في أنحاء  
مصر كلها شبه معدومة..

ثم نظر نظرة ذات مغزى إلى قائد المقاومة وهو  
يستطرد:

- إلا إذا كان من يقوم بالاستطلاع لحساب المقاومة ما  
زال يحتفظ بكفاءته، فنحن لم نهتم بالخروج من  
حدود القاهرة منذ سنوات طوال.

لم يلتفت قائد المقاومة إلى ما يلمح إليه الحكيم وقال  
بثقة شديدة:

- حسب آخر المعلومات التي وردتنا فجنوب مصر  
أصبح بأكمله خالي من الحياة تمامًا ولا وجود للاحتلال  
أيضًا هناك، فأعتقد أن رحلة المنيا برغم خطورتها

لجهلنا ماذا يوجد هناك على وجه الدقة، لكنها لن تكون مميتة أيضًا.

قال شديد:

- إذن ليسافر فريق كبير من أكفا وأشجع مقاتلينا إلى المنيا وسأرافقهم بنفسي أن سمحت يا حضرة القائد.

نهض قائد المقاومة قائلاً:

- هذه عملية انتحارية، فنحن لا نعلم ماذا سينتظرنا هناك برغم معلوماتنا المسبقة التي تفيد بعدم وجود أي أخطار هناك.. لكني لن أخاطر بأرواح عدد كبير من رجالي لذلك سيذهب فريق محدود من الرجال وأنا لا أثق بأحد غيرك؛ لذلك طلبك سينفذ وستقودهم أنت.

انتفخت أوداج شديد وتهلت أساريره بينما بقي الحكيم صامتًا حتى تدخل حسان مرة أخرى في الحديث قائلاً:

- المنيا ليست عقبتنا الوحيدة يا سادة، فهناك الأخطر.

صُعق الكل من جوابه وارتفع صوت قائد المقاومة  
مُحتدًا وهو يقول:

- نحن لم نتغلب بعد على أول عقبة حتى تظهر لنا  
أخرى يا سيد حسان.

حاول حسان تهدئته قائلاً:

- يا حضرة القائد أنا لم آخذ فرصتي كاملة لشرح  
الموضوع.

قال الحكيم وقد بدأت العصبية تغزو صوته على غير  
المعتاد:

- أرجو، أن تقول كل ما لديك دفعة واحدة يا دكتور  
حسان.

رد حسان بسرعة:

- الرمال السوداء.

علت الدهشة وجوه الجميع، فسأله شديد بتعجب:

- ما تلك الرمال السوداء؟ أنا لم أسمع بها من قبل؟!!

رد حسان موضحًا:

- الرمال السوداء هي عبارة عن رواسب تتكون من ارتطام الأمواج بالشواطئ، وتحتوي على العديد من المعادن التي تستخدم في الصناعات الإلكترونية والدوائر الكهربائية وسواحل مصر غنية بها، لكن المنطقة التي يجب استخلاص رمالنا السوداء منها حسب أبحاثي هي شواطئ مدينة طابا..

تبادل قائد المقاومة والحكيم النظرات طويلاً فيما بينهما ولاحظها حسان الذي قال:

- لا تقلقوا، الأمر ليس معقدًا، فقط كمية بسيطة من الرمال ستفي بالغرض.

نهض القائد وبدا على صوته التوتر وهو يقول:

- حسنًا، الذهاب إلى المنطقة الشرقية سيختلف حتمًا عن الذهاب إلى المنيا.. ما دام الأمر سيصل إلى إخراج

مجموعة قتالية من مقر المقاومة الرئيسي فيجب ان يحدث هذا الأمر تحت سمع وبصر (المعاطف السوداء).

لم يفهم حسان المقصود بهذا الكلام بينما قال شديد:

- أو (الذئاب) يا سيدي.

رد القائد:

- لن يجتمع أصحاب (المعاطف السوداء) مع (الذئاب) حتى لو حاولت الدنيا كلها جمعهم فلن يفلح أحد في هذا، لذلك (المعاطف السوداء) هي خيارنا الوحيد المتاح حاليًا نظرًا لقربها الجغرافي منا..

ثم نظر إلى حارسه الشخصي وهو يقول:

- شديد، ستذهب أنت وثلاثة من مجموعتك القتالية بالإضافة إلى الدكتور حسان إلى اطلال القاهرة القديمة معقل (المعاطف السوداء) وسأقوم أنا بإرسال رسالة إلى قادتهم تفيد بذهابكم إليهم طلبًا للمعونة..



نهض شديد وهو يؤدي التحية العسكرية لقائده وهو  
يقول بحماسة شديد:

- عَلم وينفذ يا حضرة القائد.

أضاف القائد:

- ستحاولون شرح الأمر لهم بالتفصيل وتطلبون منهم  
دعمنا ولنرّ ردهم..

قال الحكيم مشتركاً في الحديث:

- فلنأمل أن ينضموا لنا، وجود المعاطف السوداء في  
صَفِّنا سيزيد من فرص نجاحنا.

غمغم القائد:

- بالتأكيد، ذلك الفصيل إضافة لنا في معاركنا القادمة.

والتفت إلى شديد وحسان موجهًا لهم الكلام قائلاً:

- استعدوا للذهاب إلى أطلال قاهرتنا المحتلة، ولنا أمل  
أن تعودوا لنا ببعض المعاطف السوداء.

\*\*\*

## المعاطف السوداء

خرج الرجال الخمسة من المستعمرة تاركين إياها خلفهم، كانت مستعمرتهم عبارة عن مجموعة من البيوت الصغيرة المتلاصقة بلا فواصل بينها، بعضها من طابق واحد وبعضها من طابقان.. أما الجزء الآخر منها يحتوي على ثلاثة مبانٍ متجاورة، كل مبنى مُخصص لمجموعة مُعينة، المبنى الأول يحتوي على مقر وسكن القائد العام وبعض غرف كبار الضباط بالإضافة للمعامل التابعة للإدارة العلمية للمقاومة، المبنى الثاني يخص المتدربين الجدد، المبنى الثالث أغلب طوابقه تُستخدم مخازن للطعام ويحتوي على محطة صغيرة مُتقدمة لتحلية مياه الأمطار بالإضافة إلى بعض خلايا الطاقة الشمسية على سطحه لإمداد المُستعمرة بما تحتاجه من طاقه، تطل المباني الثلاثة على ساحه واسعه تُستخدم للتدريب، خلف ساحه التدريب توجد حديقة صناعية، وعند الأسوار الخلفية للمُستعمرة توجد نُقطة تجمع للسيارات..

شوارع المُستعمرة الصغيرة الطولية مُمهدة ومُعبدة، ولا يوجد بها سوى عدد محدود للغاية من المركبات والسيارات تُستخدم للتنقل خارج مُحيط المُستعمرة فقط..

وتجوبها دوريات راجلة من مقاتلي المقاومة وأحيانًا تتكون الدوريات من ضابط وثلاثة متدربين جُدد، ويحيط بكل ذلك سور ضخّم وعالٍ يحتوي على عدة أبراج للحراسة..

بدأت المسيرة وتقدمها شديد الحارس الشخصي لزعيم المُقاومة لمعرفته المسبقة بطريق معقل (المعاطف السوداء).

كان الصمت يخيم عليهم وقد بدأت الشمس في الغروب..

قبل خمسين عامًا كان هذا الطريق مزدحمًا بالسيارات وبالبشر، أما الآن فلا يوجد بشر أو سيارات ليشغلوا هذا الطريق..

كان شديد ورجاله معتادين الخروج من المستعمرة بحكم عملهم كدوريات مراقبة وتأمين، أو لجمع بعض احتياجات المُستعمرة، أو لتأمين زعيم المُقاومة عند زيارته لمعقل أو مُستعمرة قريبة.. عكس حسان الذي كان يسير متأخرًا عنهم ببضعة خطوات مندهشًا مما يراه..

فهو منذ قدومه إلى المُستعمرة على يد أحد فرق الإنقاذ لم يغادرها إلا اليوم، الرجل يعيش لمعمله ولأبحاثه فقط، حتى إنه نادرًا ما كان يختلط بأحد..

أخذ حسان ينظر حوله مفكرًا ثم ترجم تفكيره على هيئة سؤال لشديد:

- لماذا لا يهاجمنا الاحتلال وينتهي من أمرنا تمامًا؟

رد عليه أحد رجال شديد بتهكم:

- أنت العالم وتسالنا نحن الجنود في الشيء الذي من المفترض إنه اختصاصك؟

كان الجنود دائماً في مُستعمرات المُقاومة ينظرون إلى العلماء على لنهم عالية عليهم، لا يخاطرون بأرواحهم ولا يتدربون ولا يخرجون إلى العالم الخارجي إلا فيما ندر، حتى أن هناك مقولة انتشرت بين مقاتلي المُقاومة تقول: "علماء المُقاومة، عبارة عن أفواه ومؤخرات فقط."

الجندي يشعر دائماً أنه في خطر، لذلك هو يتوقع الشكر والامتنان من الجميع لمجرد أنه يؤدي وظيفته فقط..

تجاهل شديد قول جنديه وهو يقول: لا أعلم في الحقيقة يا سيدي، هذه ليست وظيفتي، لكنني سمعت الكثير من الأقاويل.

رد حسان:

- مثل ماذا؟

- سمعت البعض يقول إن بُعد مُستعمراتنا عن أماكن تجمعهم بعيدة، البعض الآخر يقول إنهم لا يريدون

القضاء على كل البشر، بينما يصر آخرون على أن الله هو من يمنعهم عنا.

قال حسان بعد لحظات من الصمت:

- حسب دراسات بعض العلماء، التي قرأتها واطلعت عليها، أن ذلك الطفيلي سيطرته على جسم الإنسان تُضعف من جهازه العصبي، فيصعب على الجسد المُسيطر عليه السير لمسافات طويلة..

- ولماذا لم يستخدموا سياراتنا أو مركباتنا الحربية؟

- يبدو أنهم يواجهون صعوبة في فهم كيفية التعامل معها ولذلك نحمد الله، لكن أنا أعتقد أن ضعف جهازهم العصبي هو ما يعوقهم عن التقدم أكثر..

أوما شديد برأسه موافقا ثم قال:

- لا يغرنك ضعف جهازهم العصبي فعندما تواجه هؤلاء في معركة ستجدهم وحوشًا أمامك، نحمد الله

أنهم لم يستطيعوا استخدام أسلحتنا كلها ضدنا، فقط  
اكتفوا بالأسلحة الخفيفة والمتوسطة فقط.

قال حسان:

- حتى الآن لم يستطع أي عالم فهم الآلية التي  
بواسطتها تستطيع تلك الطفيليات السيطرة على  
أجسادنا وتطويعها بتلك الطريقة.

قال شديد:

- هناك أشياء من الأفضل ألا تعرفها يا رفيقي، فالجهل  
أحيانًا كثيرة يصبح نعمة لا نقمة.

قال أحد رجال شديد بحسرة:

- لكن أين ذهبت قواتنا وجيوشنا وأسلحتنا، لقد  
استيقظنا في الصباح لنجد الكوكب كله منهارًا، ماذا  
حدث؟

زفر شديد بضيق وقال:



- تخيل يا بني أن تجد فجأة كل من حولك يود إخراج أمعائك من معدتك أو قطع رقبتك، أو تخيل مثلاً أنك صحت لتجد أحد تلك الطفيليات في جسدك، وتجد أنك فقدت القدرة على تحريك جسدك وفقدت السيطرة عليه بالكامل، أو أن جارك في السكن يصوب سلاحه في وجهك بدون سبب منطقي أنه جنون مطبق.. لن يستطيع أي جيش أو شعب في العالم الصمود أمام كل هذا، فالجميع أُصيبوا في نفس التوقيت الجنود والأطباء والمعلمين ورؤساء الدول إلا من رحم ربي واستطاع أن يفر مثلنا..

رد عليه رجل آخر:

- وما مصير أسلحتنا التي لم يستطيعوا استخدامها، الطائرات والقطع البحرية والصواريخ والدبابات ألا نستطيع استعادتها والقتال بها؟!.

قال شديد:

- أغلبنا ليس لديه خلفية عسكرية ولا يستطيع التحليق بطائرة أو قيادة دبابة، وحتى إذا حاولنا جمع كوادر تستطيع فعل كل هذا لتدريب الآخرين عليها ستواجهنا مشكلة أخرى أضخم.

رد حسان الذي كان صامتًا لفترة طويلة:

- ما تلك المشكلة؟

- أولاً الوقود المستخدم لتسيير تلك الآليات العسكرية من أين سنحصل عليه؟ ثانيًا وهذا هو الأهم.. إنهم يحيطون مستودعات أسلحتنا بحراسة شديدة لا يستطيع جيش نظامي اختراقها، فما بالك بميلشيات غير منظمة مثلنا أغلب أفرادها مدنيين مسلحين بأسلحة خفيفة، ستكون مذبحه..

صمت للحظات ثم تكلم بصوت تسللت إليه لمحة من الرهبة:

- بجوار كل مستودع سلاح يوجد مبنى لهم على شكل مكعب له بريق ذهبي غريب بلا نوافذ أو فتحات تشعر

أنه مصمت..

شعروا أن الكلمات لا تسعفه من أجل شرح ما رآه  
فسأله أحد رجاله:

- متى رأيت مبانيهم تلك يا سيدي؟

- في أثناء هروبنا من القاهرة وقت حصارها، كانت  
المرّة الأولى؟

- متى بنوها، وكيف؟!

- لا أحد يعلم لقد ظهرت مبانيهم تلك في غمضة عين  
مثلهم تمامًا نمنا ليلاً، وكانت القاهرة لم تسقط  
استيقظنا لنجد أننا محاصرون داخل منازلنا وتلك  
المباني المكعبة الشكل توجد في كل مكان.

كان يبدو أنه يستعيد ذكرى بغيضة عليه والتقط  
حسان هذا فحاول أن يغير الموضوع تمامًا

فسأله:

- لكن قُل لي لقد طالت فترة مكوثي بالمُستعمرة فلم أسمع الكثير عن هؤلاء (المعاطف السوداء) من هم؟ ولماذا لا يستطيع الرجل الأول في المقاومة الخروج بقوات له خارج حدود القاهرة بدون طلب العون منهم، مع العلم أن تلك العملية قد يتوقف عليها مصير البشرية كلها، أو مصر على الأقل؟

رد شديد:

- المعاطف السوداء، هي إحدى فصائل المقاومة، مُدربة ومُسلحة ومُنظمة للغاية، ونحن نُدين لها ولقاداتها بسبب شيء واحد فقط قد فعلوه، معركة واحدة فقط خاضوها هؤلاء المعاطف، وبعدها لم نراهم مرة أخرى إلا فيما ندر، وإن بقي التواصل بين قادة المقاومة وبين قاداتهم قائم حتى الآن.

دهش حسان من الإجابة فقال لشديد:

- لقد سمعت بالطبع عن معركة القاهرة الأولى والحصار الذي ضُرب عليها ولكني لم أعرف بالتفاصيل قط.

انتقلت دهشة حسان إلى شديد الذي قال:

- أنت من سكان القاهرة يا دكتور حسان؟

- أجل!

- من سكان القاهرة ولم تعرف تفاصيل عن المعركة الأولى، الجميع له ذكريات مع تلك الأحداث، إنها البداية لكل شيء..

- أنت تعلم أنني منذ اندلاع الأحداث لم أكن أخرج من المعمل الصغير المُلحق بمنزلي، فأنا لست متزوج ولا عائلة لي فلم أخش شيئاً حتى أنني لم أعلم بسقوط القاهرة إلا من دوريتكم التي عثرت على عندما نفدت مؤونتي وخرجت من منزلي للبحث عن طعام كالأبله.

قال جملته في مزيج عنيف من الحزن والأسى مختتماً إياها بابتسامة حزينة، تعاطف معه الجميع وظهر التعاطف جلياً في صوت شديد وهو يجاوبه قائلاً:

- حسناً سوف أحكي لك عن معركة القاهرة بالتفصيل.

\*\*\*

"هذه كارثة بكل المقاييس يا فاضل، إذا تسرب هذا الخبر سينهار كل ما بيناه طوال العشر سنوات الماضية في لحظة واحدة".

قالها قائد المقاومة الذي يجلس على مقعده متوترًا وهو ينقر بسبابته على الطاولة من أمامه وعلى المقعد الذي عن يساره جلس فاضل العجوز، وإن بدا عليه العصبية والتوتر بدوره وهو يقول:

- هل أغراهم الذئاب مثلًا ببيعنا، أو المعاطف السوداء.

حذق إليه القائد طويلًا ثم قال:

- لا، هذا ليس أسلوبهم أبدًا، الخلاف بيننا لن يصل إلى هذا الحد أبدًا.

- هروب خمسين من المتدربون الجدد ومعهم ثلاثة ضباط كبار من أحد أهم مستعمراتنا في دلتا مصر وقد

استولوا على كمية كبيرة من السلاح والذخيرة وثلاث سيارات مُدرعة يدويًا ألا ترى أن هذا بداية انشقاق؟

- انشقاق وليس تمرد وهذا ما قد يخفف وطأة الأمر كثيرًا.

زفر فاضل بحنق وهو يقول:

- ما لي أراك هكذا، رجالك ينشقون عنك وأنت هنا جالس بلا حراك؟

- ما الذي بيدي لأفعله؟

- لا شيء، فقط اجلس هنا وتابع التقارير وعندما يرى أتباعك سكونك هذا ربما سيأتي الغد ونراك لا تُسيطر إلا على تلك المُستعمرة فقط.

كان من الواضح أنه قد مرت فترة طويلة منذ أن جرؤ أحدهم على مكالمة قائد المُقاومة بتلك الحدة فنظر الأخير إلى فاضل وهو يقول بهدوء شديد أدخل الرعب في قلب فاضل:

- أنا القائد العام لفصائل المقاومة بأكملها، الذئاب والمعاطف السوداء لم ينجحوا في إزاحتي من موضعي، كما أنني لم أصل إلى موقعي هذا ببساطة أو بسهولة، أنا أستحقه وأستحقه عن جدارة، لقد وصلت إلى هنا بالدم والعرق، كل حجر في هذا المكان لي بصمة عليه، أنا من يهتم، من يعمل، من يبني، من يحافظ على ذلك الكيان، هل فهمت هذا؟

قال كلمته الأخيرة بصوت عالٍ أجفلت فاضل الذي انتفض جسده وهو يقول:

- أنا أفهم هذا بالطبع لكن كل ما أتمناه منك أن تأخذ رد فعل ولا تؤجل هذا لأي سبب من الأسباب هذه الحادثة لن تمر مرور الكرام.

- ماذا أفعل برأيك؟

- استدع قائد هذه المُستعمرة ليمثل أمامك، وعندما يأتي وتُحقق معه فيما جري، إن رأيت أنه غير مُذنب أو مُقصر أعيده إلى مكانه برفقة ضابط أو اثنين



ليكونوا عينك وأذنك هُنَاكَ ولزيادة التأمين أيضًا، أما إن وجدته مُذنب أو لم يعجبك ما سُيدلي به، أخضعه لمُحاكمة وأرسل رجلاً آخر ليحل محله.

أوماً القائد برأسه مُستحسنًا رد فاضل، لكنه لك يرد وأشار له بأن ينصرف، وبداخله ظل سؤال وحيد يعصف بذهنه..

أين ذهب هؤلاء المُتدربون الجُدد؟؟

\*\*\*

## معركة القاهرة

جلس شديد على الأرض مُستندًا بظهره إلى حائط بيت متهدم وهو يقول بلهجة أمره:

- لنستريح قليلًا يا رجال فمسيرتنا ما زالت طويلة..

حذا كل من الرجال الأربعة حذوه، وجلسوا في دائرة حوله..

أخرج زجاجة مياه من حقيبة ظهره جرع منها جرعة كبيرة، ومن تحت جيوبها أخرج علبة سجائر مُتهالكة أخرج منها نصف سيجارة أشعلها بأعواد ثقاب بيضاء غريبة الشكل، كانت تلك الثقاب أحد اختراعات المقاومة، ثقاب تشتعل بمجرد احتكاكها بأي جسم صلب أيًا كان ماهيته.. سحب نفسًا شديدًا من سيجارته المنقوصة ثم عدل من وضعية جسده، وبدأ يحكي قائلًا:

- لقد بدأت الأحداث في محافظة المنيا بجريمة القتل الشهيرة التي راح ضحيتها ثلاث أسر كاملة..

سحب نفسًا عميقًا آخر من تبغه ثم تابع:

- انتشرت حوادث القتل في جنوب مصر بأكمله فقد الناس السيطرة على أنفسهم هو أن هذا ما تمت اشاعته وقتها، مما دعا الحكومة إلى إعلان حالة الطوارئ في العاصمة وإعلان الصعيد منطقة منكوبة بوباء ما!

تغيرت لهجته لتشوبها الحسرة والحزن:

- كان سكان القاهرة والدلتا يظنون أنهم بعيدون عن تلك الأحداث لكن هيهات..حتى صباح ذلك اليوم..بدأت الأخبار تنتشر عن إصابات بتلك الطفيليات، كان من يصاب بها تظهر عليه أعراض الإنفلونزا الموسمية العادية وبعد مده قد تصل إلى ثلاثة أيام يغيب المصاب عن الوعي لمدة ساعتان

بعدها يستفيق وهو غير مسيطر على جسده ويبدأ الطفيلي بالتحكم التام في تصرفاته وأفعاله.

سحب النفس الأخير من سيجارته ثم ألقاها بعيدًا، نفت الدخان من منخاريه وعاد يقول:

- كان المصابون أعدادهم قليلة في البداية.. لكنهم بدؤوا في الاستيلاء على أسلحة من قتلوهم من رجال الجيش والشرطة وبعدها بدأ عددهم في التزايد إلى حد مخيف، أصدر الجيش المصري وقتها بيانًا يدعو فيه المواطنين لالتزام مساكنهم وعدم الخروج إلا للضرورة القصوى كذلك تم إعلان الأحكام العرفية بالبلاد، وكان هذا القرار أكبر الأخطاء التي ارتكبت.. لأن هذا القرار جعل المصريين يتم حصارهم داخل منازلهم وداخل حدود القاهرة بلا مهرب وبلا منفذ...

وبدأ البشر المُسيطر عليهم من قبل تلك الطفيليات بتصفية البشر في كل شارع على حدة بدون أن يلاقوا أي مقاومة بسبب الانهيار السريع الذي أصاب الجيش والشرطة..

وجرت هناك مذبحة مات فيها على الأقل ما يقرب من نصف مليون مصري.

صمت لحظات وهو يترقب أثر كلماته في وجوه الجميع ثم ركز نظراته على حسان وهو يقول:

- يومها تكونت نواة المقاومة هناك، في قلب القاهرة.

زاد انتباه حسان عندما وصل شديد إلى هذه النقطة من حديثه وتابع الأخير قائلاً:

- تجمع بعض سكان القاهرة نجحوا في الحصول على أسلحة من مقرات الشرطة والجيش الفارغة، ومنهم من كان يمتلك سلاحًا بالأصل بعد ذلك انضم إليهم بعض من رجال الجيش والشرطة الذين سمعوا بحدوث الاشتباكات وحرب الشوارع التي يخوضها المدنيون من سكان القاهرة ضد البشر المسيطر عليهم من قبل تلك الطفيليات، وبدؤوا في تنفيذ عمليات نوعية مُعتمدين على خبراتهم العسكرية السابقة، ضد تلك.. الأشياء.

كان الرجال ينصتون إليه باهتمام وتركيز وهم يحاولون تخيل تلك المعركة الكبيرة التي حدثت في حين تابع هو:

- نفدت المواد الغذائية والطبية ونقصت الذخيرة بشكل جنوني بسبب ضراوة المعارك التي خاضها المصريين ضد البشر السابقين وعلى النقيض تمامًا زاد عدد القتلى من المصريين، ونحمد الله على أن تلك الطفيليات لا تستطيع احتلال الأجساد الميتة وإلا لكان أمرنا قد انتهى منذ زمن..

سكت ثم نهض من جلسته وهو يقول:

- ثم ظهرُوا هم، تخيلوا أننا إلى الآن وبعد مرور كل تلك السنوات لم ندر من أين أتوا، لم ندري فقط سوى أنهم قد خاضوا قتال شوارع مريع ضد المحتلين، من شارع إلى شارع ومن منزل إلى منزل.. كانوا يرتدون معاطف وسترات جلدية سوداء اللون بلا أي شعارات.. يتحركون بنظام شديد وحسب خطة موضوعة سلفًا، أسلحتهم تقليدية مثل أسلحة الجيش والشرطة ولكن

لديهم كميات كبيرة من الذخيرة، وكذلك المتفجرات، وكانت لديهم أعداد كبيرة من السيارات (نصف النقل)، لكننا لم نستطع إحصاءهم وقتها، لكننا فيما بعد قدرنا عددهم بأنه يفوق الخمسمئة رجل.

صمت للحظات وابتسم لتلك الذكرى التي استحضرتها في مخيلته واستطرد:

- أطلقنا عليهم اسم (المعاطف السوداء) يومها، وانضم إليهم بقية رجال المقاومة في القتال ونجحنا في فك الحصار عن منطقة كبيرة من القاهرة وكبدنا الكائنات وقتها خسائر فادحة وقد استمر القتال ثلاث أيام وفي اليوم الرابع عندما خفت حدة القتال وكادت أصوات الاشتباكات أن تختفي تمامًا، أخبرنا هؤلاء الرجال أن القاهرة قد سقطت، بل إن مصر كلها قد سقطت، ولا فائدة تُرجى من القتال، وأنه يجب الهروب بعيدًا عن متناولهم.

نطق كلماته الأخيرة بحروف تقطر مرارة وحزن وصمت للحظات خُيل فيها إليهم أنه سيبيكي لكنه قال

## فجأة:

- بالاشتراك مع قادة المقاومة وقتها وكان قائد المقاومة الحالي أحدهم بالمناسبة تم تقسيم الناجين من سكان القاهرة القديمة في مجموعات، وبدأنا في السير خارج حدود القاهرة ناحية المدن والتجمعات السكانية الجديدة المخصصة لعلية القوم، التي كانوا قد هجروها فور إعلان الأحكام العرفية، وسكنا نحن تلك المجمعات وبدأنا في تنظيم حياتنا فيها.

قال أحد الرجال:

- وتلك الكائنات، كيف حصلت على ذخيرة لقتالنا؟

رد حسان هذه المرة:

- غالبًا بنفس الطريقة التي حصلنا نحن بها على سلاحنا، الرجل يحمل سلاح من سقطوا ليكمل به القتال، وما ينطبق على السلاح ينطبق أيضًا على الذخيرة..



أضف شديد:

- هناك تقارير تُشير إلى أن تلك الكائنات بعد فهمها لطبيعة آلية عمل أسلحتنا بدأت في تصنيع ذخيرتها أيضًا لكننا لم نتأكد بعد من صحة هذه التقارير.

ثم صمت شديد فسأله حسان:

- لم تكمل بعد، عندما نزح الناجون من سكان القاهرة أين ذهبوا هم، المعاطف السوداء؟

- لقد انسحبوا بعد انسحابنا إلى حدود القاهرة أو ما قد تبقى منها، وقد بقي معهم العديد من أهل القاهرة، رجال ونساء وأطفال عائلات كاملة بقت معهم، وكونوا مجتمع مستقل بذاته هنا في تلك الأطلال التي نحن فيها الآن.

قالها وتلفت حوله.

سأله أحد الرجال:

- لكن من هم هؤلاء الرجال، وكيف لم نعرف حتى الآن هويتهم؟

- صدقني، لا أحد يعلم بهويتهم، حتى من انضم إليهم بعد فك الحصار، لم نرَ أحدًا منهم أبدًا، لكن كعادتنا نحن المصريين انطلقت عشرات الإشاعات وبوسعك تصديق أي واحدة منهم، البعض قال إنهم من القوات الخاصة بالجيش لكن بعض ضباط الجيش لدى المقاومة شكوا في صحة هذا القول، البعض قال إنهم ضباط شركة أمنية مقرها خارج حدود القاهرة، والبعض قال إنهم مدنيون وقد حصلوا على السلاح بنفس طريقتنا، حتى إن بعضهم قال إنهم تابعون للأمم المتحدة أو حتى أنهم كانوا مسجونين في أحد السجون وقد سرقوا أسلحة الحراس!

صمت للحظات ثم أضاف:

- لكن ما اتفق عليه الجميع أن هؤلاء الرجال شجعان وقد قاتلوا بعزم وقوة ولولاهم لسقطت مصر للأبد.

قال حسان:

- إذن لذلك نحن نعتبر أن (المعاطف السوداء) هم خط  
دفاعنا الأول فنحن خارج القاهرة وهم على مشارفها  
وإن قرر العدو يومًا ما أن يأتينا فيجب أن يقاتلهم  
أولاً؟!!

قال شديد:

- صحيح، أضف على ذلك أنهم مُنظمين ويمتلكون  
أسلحة وسيارات، وبتولتهم السابقة في أثناء حصار  
القاهرة جعلت لهم مكانة خاصة في قلوب المصريين.

ثم شد قامته وهو يقول:

- وكل ذلك يجعل (المعاطف السوداء) أحد أهم  
أسلحتنا المتوافرة لدينا.

أمسك حقيبة ظهره ورفعها على كتفه وهو يقول  
لرجالته:

- هيا لقد أضعنا وقتًا ثمينًا لا يمكننا البقاء هنا أكثر من ذلك يجب ان نستمر في التحرك الآن..

سأله حسان:

- هل اقتربنا من مقرهم بعد؟!

رد عليه:

- لا أعلم في الحقيقة، فأنا لم أزر مقرهم من قبل؟

غزت الدهشة صوت حسان وهو يقول بصوت ظهر فيه الغضب والحدة:

- كيف لا تعلم يا سيد شديد، إذن كيف سنعثر عليهم الآن، هل سنظل نسير هكذا بلا هدف؟!

رد شديد بهدوء وقد بدأ في السير:

- لا أحد يعثر على المعاطف السوداء يا صديقي، بل هم من سيعثرون علينا، أتمنى أن يحدث هذا قريبًا فقط، لأنني قد تعبت من السير..

ضحك شديد وشاركه رجاله الضحك..

استمر سير الرجال الخمسة في الأطلال وبقايا المباني المتهدمة التي تحيط بهم من كل اتجاه، غربت الشمس وغرق محيطهم في ظلام تام ودامس أجبرهم على استخدام مصابيح تشع ضوءاً أبيض باهت بصعوبة ينير مسافة أقل من الخمسين سنتيمتراً أمام كل رجل منهم..

شديد الذي يتصدر المسيرة الصغيرة الحذرة، توقف فجأة رافعاً قبضة يده اليمنى وهي مضمومة فتوقف جميع من خلفه رافعين بنادقهم، أما هو فأخذ يلتفت يمينا ويساراً مشيراً لهم بالانخفاض وهو يخرج مُسدسين ضخام الحجم من حزامه، كان حسان يشعر بدقات قلبه تعدو في سباق محموم مع الزمن، فهو رجل علم لم يعتد على تلك الإثارة أو الرحلات الليلية، كان أقصى ما يتمناه الآن أن يعدو راجعاً ليحتمي بأسوار المُستعمرة، لكن أوان العودة كان قد فات، كما أن لديه مُهمه تم تكليفه بها ولا بد من إتمامها.. قاطع أفكاره صوت شديد الهامس وهو يقول:

- هناك خطب ما خطأ، أشعر به منذ خطوتنا الأولى في ذلك المكان.

زاد تحفزهم وهو يستطرد:

- أعتقد أن الأصدقاء قد وصلوا وقرروا أن يظهروا أنفسهم لنا.

قال حسان بصوت مرتجف:

- أهم المعاطف السوداء؟

- أرجح هذا.

قال أحد الرجال:

- إذا لنعلن عن نفسنا لهم، من المفترض أننا حلفاء، أليس كذلك؟

قال شديد بحزم وهو يجاهد لاخترق حجاب الظلام الكثيف المحيط بهم ببصره:

- لا، لن نفعل ذلك لأن...

قاطعته صوت عشرات الخطوات التي تقترب منهم، استقام الكل من انخفاضهم ليفاجؤوا بالعديد من الرجال يحيطون بهم من كل جانب..

ميزوهم بصعوبة بسبب اتشاحهم باللون الأسود، كانوا أكثر من ثلاثين رجلاً مدججين بالسلاح ولا يستخدمون أي كشافات للإضاءة، رجح حسان أنهم يستخدمون نوعاً ما من المناظير الليلية، وأقر في داخله أن المعاطف السوداء تحوز تكنولوجيا لا يحوزها غيرهم، وهذا يجعلهم متفوقين على المقاومة.

اقترب من مجموعتهم الصغيرة أحد الرجال المُتشحين بالسواد كان ضخم الجثة وأطول قامته من شديد نفسه الذي يبلغ طوله متران بعدة سنتيمترات ويبدو أيضاً أنه قائدهم، ثم قال بصوت جهوري وهو يشهر سلاحه في وجوههم:

- ألقوا أسلحتكم وعرفوا عن أنفسكم.

قالها بينما اقترب منهم رجل آخر يحمل جهازًا صغيرًا يصدر أزيزًا مُتقطعًا، بينما ألقى شديد ورجاله أسلحتهم وهو يقول:

- نحن من رجال المُقاومة، وقد وصلكم خبر قدومنا إليكم صباح هذا اليوم من مقر المُقاومة الرئيسي في أطلال القاهرة الجديدة.

أوماً الرجل الذي يحمل الجهاز برأسه إلى قائده الضخم الذي سأل شديد بصوت هادئ بعض الشيء:

- ما اسمك؟

رد شديد بصوت معتد وهو يفرد قامته قدر استطاعته:

- شديد.. اسمي شديد.

ندت ضحكات ساخرة من بعض الرجال حولهم فتلفت شديد حوله غاضبًا في حين ابتسم قائد الرجال ثم



أمرهم بالصمت فصمت جميع رجاله وبعدها وجه الحديث إلى شديد ورجاله:

- حسنًا، يا رجال المقاومة الشجعان، هناك إجراء روتيني فقط يجب أن تقوم به من أجل الأمان العام لنا وبكم.

ثم أشار إلى رجاله الذين أحاط جزء منهم بشديد ومجموعته وهو يقول:

- لا تقلقوا، كما قلت هذا إجراء روتيني فقط لو كنا نود إلحاق أي أذى بكم لفعلنا هذا منذ دخولكم حدودنا..

اقترب الرجال منهم كثر وقام عدد منهم بوضع عصابات سوداء على أعينهم فظهر زعر حسان وهو يقول صارخًا:

- أرجوكم، أنا أعاني رهاب الاختناق، لن أستطيع تحمل تلك الغمامة على رأسي، أرجوكم.

كان رجال المعاطف السوداء قد انتهوا من وضع العصابات على رؤوس الرجال الأربعة الآخرين، فاقترب الرجل الضخم من حسان الذي تراجع إلى الوراء مرتعبًا، وأمسك الضخم العصابة وقطعها إلى عدة قطع بيده وصنع عُصابة للأعين فقط فردها في وجه حسان الذي خفت حدة صوته وهو يقول:

- أعتقد أن تلك فكرة جيدة.

اقترب منه الضخم وعصب عينيه وهو يقول:

- نعم فكرة جيدة، العصابة لا تخنقك، هناك مجال يسمح بتنفسك.

ثم أحكم ربطها على رأس حسان وهو يقول بصوت عالٍ لرجالهم:

- هيا يا إخوتي لنوصل شجعان المقاومة إلى المنزل..

"في عصور الظلام السحيقة عندما كانت الأرض غير الأرض والسماء غير السماء، وقبل ظهور باقي مخلوقات الأراضي السبع بملايين السنين.. سادت الأرض وقتها كائنات دقيقة من خلية واحدة، لم يعيش على سطح الأرض غيرها، واستمرت الحياة إلى أن سقط على الأرض كويكب غريب زائر من الفضاء أتى مُحمل بكائنات أخرى صغيرة، لا تُرى بالعين المُجردة، كانت نوع متطور للغاية، له كيان مُستقل بذاته وعقل..

استطاع ذلك النوع من المخلوقات التي بحجم الذرة أن تجعل كل المخلوقات الدقيقة الأخرى التي تعيش على سطح الكوكب أو حتى التي تعيش في أعماق بحاره ومحيطاته أسيرة له وتحت سيطرته وتعيش لخدمته ولبقائه، ومن لم يستطع التكيف مع تلك المجهريات تم إفناؤه عن بكرة أبيه، وسادت تلك الطفيليات ذلك الكوكب لملايين السنين..

حتى ظهرت أول المخلوقات شبه العاقلة على ظهر كوكب الأرض.. عماليق بأجساد تناهز العشرة أمتار

طولاً..نجحت تلك الطفيليات في السيطرة على أجساد هؤلاء العمالقة وقامت بينهم علاقة تكافلية..

الطفيليات أعطت للعمالقة العقل والحكمة والتفكير والعمالقة أعطوا للطفيليات الأجساد والقوة التي حُرموها، وأحياناً أخرى كان هؤلاء العمالقة مصدرًا للغذاء لتلك الطفيليات!

وسادت تلك الحضارة المشتركة الأرض لآلاف السنين، وبدأت الأرض تَعجُّ بالحياة بعد ظهور حيوانات ونباتات جديدة.. في البر والبحر..

وأصبحت حضارة تلك الطفيليات عظيمة، حيث سخرت كل مخلوق حي على ظهر الكوكب لخدمتها فقط..

حتى ظهر ذلك النوع من الكائنات،كائنات عاقلة، راقية، متطورة، انشأت حضارة خاصة بها كذلك أنشأت مدن وجيوش وبدأ ميزان القوة يختل..

ولأن الكون لا يتسع إلا لقوه واحده فقط ...

فقد خاضت الحضارتان معًا حروبًا شعواء، حروب لا هدف لها سوى الفناء والموت والدمار..

وبدأت موارد الأرض تستنزف بسبب قتال المخلوقات الآتية من الفضاء بمساعدة أول خليفة للإله، ضد الخليفة الثانية للإله..

وبعد قتال مرير وحرب استمرت لعقود طويلة انهزم العمالقة ومن يسيطرون عليهم شر هزيمة أخيرا، وبعدها انسحبوا إلى أقاصي الأرض تاركين حضارتهم وما بنوه وشيدوه من معابد وقلاع للحضارة المنتصرة التي بدأت فترة سيادتها" ..

أنهى إيمحوتب قراءته لتلك السطور واغلق الكتاب الذي كان يقرأ منه ورفع بصره إلى الرجل الواقف أمامه...

الذي قال بنفاد صبر واضح:

- أنا أعلم كل هذا أيها المستشار الأكبر فهو تاريخ بالنسبة لي، وقد درستته في صباي.

كان الرجل الذي يقف أمام إيمحوتب يرتدي رداءً أبيض اللون طويلاً مطرزاً بنقوش ذهبية وخلفه تتطاير حرملته البيضاء التي تطير وراءه كلما تحرك جيئةً وذهاباً في أثناء حديث إيمحوتب..

رد عليه إيمحوتب بهدوء:

- وعندما أتينا نحن إلى هذه الأرض يا حضرة قائد الحرس الإمبراطوري واجهنا بعضهم أيضاً، شيء ما في مركباتنا أو أجهزتنا أيقظهم من ثباتهم العميق، وحاولوا العودة، لكن جيوشنا أوقفتهم وأنقذت الأرض بمن عليها من كارثة مُحققة.

ضرب قائد الحرس صدره بقبضته اليمنى وهو يقول  
بفخر مُعتد:

- أجل، لقد كان جدي هو قائد جيوشنا التي واجهتهم وهزمتهم في كل المعارك

أوماً إيمحوتب برأسه وهو يقول:

- أجل لقد كان جدك مقاتلاً بارعاً لا يشق له غبار، كما أنه كان قائداً عسكرياً فذاً.

انتفخت أوداج قائد الحرس الإمبراطوري زهواً لكن إيمحوتب استطرده سائلاً إياه:

- ماذا سيحدث برأيك يا حضرة قائد الحرس إن عادت تلك الكائنات مرة أخرى واستيقظت من سباتها العميق، هل سنمتلك القوة الكافية لردعها؟

أربد وجه قائد الحرس وتجهمت ملامحه، واختفى الزهو والفخر من ملامحه وصوته وهو يقول بصوت خفيض:

- ستكون كارثة بالطبع أيها المستشار الأكبر، لكن عودتهم مستحيلة فقد أفيناهم عن بكرة أبيهم، على الأقل لقد تأكدنا من إفناء جنس العمالقة على الأقل.

ارتسمت ابتسامة ساخرة على وجه إيمحوتب وهو يقول:

- أحقًا، فعلنا؟!!

ارتسم الذهول والخوف على ملامح حضرة قائد الحرس الذي قال:

- هل هناك ما يعلمه مستشار الإمبراطورية الأكبر ولا يود مشاركتنا به؟

كان قائد الحرس الإمبراطوري مُقاتل وُضد لا يُكسر ولا يخاف أبدًا، لا يوجد شيء في الكون قادر على كسر عزمته، ففكرة أنه قد خاف من مُجرد احتمال طرحه إيمحوتب أرعبت هذا الأخير بدوره، فقال مُحاولًا كسر خوفه وطمأنته:

- تلك مجرد نظريات فقط ليس إلا، نحن نتحدث فقط عن الاحتمالات المطروحة أمامنا، فأنت تعلم أن ذلك الوباء الذي ينتشر في النار كالهشيم بين رعايا إمبراطورنا يقلقه بشده كما يقلقني أنا أيضًا، وأحاول بكل جهدي أن أجد تفسيرًا لما نراه أمامنا.

قال قائد الحرس الإمبراطوري:



- ما يحدث يقلق الكل أيها المُستشار، ولكن نحن نثق بجهازنا العلمي الذي سيجد علاجًا لهذا بالتأكيد، أليس كذلك؟

نظر له إيمحوتب بتمعن ثم قال بهدوء بعد لحظات من الصمت:

- إن صحت نتيجة أبحاثي التي أقوم بها الآن فهم سيعودون، في المرة السابقة وفي التسجيلات التي خاضتها بعض الحضارات البائدة ضد تلك الكائنات، فإن مجيئها دائمًا تسبقه موجة من وباء غامض لم تُسجل أعراضه من قبل، وعندما قاتلناهم نحن أول مرة وانتصرنا عليهم، علمنا من سكان قارة أطلانتس الأصليين الذين قد سكنوا القارة قبل مجيئنا أن هناك وباء عظيمًا قد استشرى بينهم، وعندها بدأت تلك الكائنات بالنهوض.

ثم نهض إيمحوتب متخليًا عن وقاره وهدوئه وهو يحرك يديه بعصبية قائلاً:

- أنت لا تفهم الأمر، تلك الطفيليات قادرة على احتلال جسدك بدون أن تعرف حتى، تستخدم معارفك وعلومك وكل شيء تمتلكه لمصلحتها.. أي إنك تتحول تلقائيًا إلى تابع لهم لا تستطيع مُساعدة نفسك، إذا أمرك الطفيلي بداخلك أن تقتل عائلتك ستفعل، وستدرك أن تفعل هذا ولن تستطيع رفض ما يوجه لك من أوامر، وعندما تحقق الهدف المرجو منك يقومون بالسيطرة على جهازك العصبي تمامًا وتحويلك إلى واحد منهم، وتموت بالبطيء وإن كنت سعيد الحظ حقًا ستتحول إلى غذاء لهم وستنال ميتة نظيفة وسريعة..

تكونت قطرات من العرق البارد على جبهة قائد الحرس وهو يقول بصوت مبحوح:

- إذن لتعمل يا صديقي على عدم عودتهم مرة أخرى، وأنا سأرفع حالة التأهب بين قواتي فقط، فلا سلطة لديّ على باقي فرق الجيش، وهذا أقصى ما أستطيع تقديمه من مُساعدة لك.

نظر له إيمحوتب وهو يسترجع الأساطير القديمة في ذاكرته، كان يعلم أن تلك الأمراض هي بداية عهدهم الجديد..

إنهم سيعودون وتلك المرة لن يجدوا حَقًّا من يستطيع صدهم..

وستكون الأرض السابعة كلها لهم، كما كانت من قبل، مُنذ ملايين السنين..

\*\*\*

بعد مسيرة نصف ساعة وسط أطلال مدينة القاهرة القديمة، لم يرَ فيها شديد أو أحد من رجاله أي تفصيلا من الطريق المؤدي إلى مقر (المعاطف السوداء)، فقط من حين لآخر بعض الكلمات الغير واضحة فقط، ولم يتبادل أحد من المعاطف السوداء أي كلمة معهم طوال النصف ساعة..

لم يختلف شيء طوال المسيرة سوى صوت ذلك المزلاج الذي يفتح ثم تبعه ذلك الصرير المزعج

لمفصلات باب صدئه، بعدها وجدوا أنفسهم ينزلون درجات سلم، في ممر ضيق ذي سقف واطئ فيه الجو رطب والهواء جاف..

بعدها انتهوا من نزول درجات السلم كانت هناك مسيرة أخرى لمدة عشر دقائق، ثم توقفوا بعد عدة منعطفات أحصاها حسان بثلاثة ناحية اليمين وواحد ناحية اليسار..

وسمعوا صوت الرجل الضخم يسمح لهم بنزع العُصايات إن أرادوا هذا..

نزع الرجال الخمسة غمامتهم في البداية أغمضوا أعينهم وضايقهم الضوء الأبيض الشاحب الصادر من مصباح صغير معلق في منتصف الغرفة الذين يجلسون فيها..

غرفة ضيقة جدًا بها طاولة صغيرة مستديرة وحولها عدة كراسي خشبية، ولا أحد حولهم من رجال المعاطف السوداء، أشار لهم شديد بأن يجلسوا، لقد

جردهم رجال المعاطف السوداء من كل أسلحتهم وأجهزة اللاسلكي الخاصة بهم، تبادل الرجال نظرات قلقة فيما بينهم، وقد أدركوا أن لا سبيل أمامهم سوى الانتظار..

دقائق الانتظار التي مرت عليهم كدهر كامل لم يجرؤ أحد على النطق أو تبادل الأحاديث خشية وجود أجهزة تصنت أو مراقبة..

تعجبوا جميعًا من عدم أخذ رجال المعاطف السوداء لحقائبهم، لما انتبه شديد لهذه النقطة متأخرًا أخرج علبة تبغّه وأشعل آخر سيجارة فيها وسط نظرات الاستنكار من مرافقيه فابتسم شديد في وجوههم وهو يقول بلهجة عصبية أرادها هادئة لكنها خائنه:

- أشعلها من أجل تمضية الوقت فقط، الانتظار يصيبني بالضجر و....

كاد أن يكمل حديثه لكن قاطعه دخول رجل بدين يضع عصا على عينه اليمنى وتحمل ذات الجهة من

وجهه على ندبة عميقة وكبيرة بظهر أثرها من على  
أطراف العصابة..

ابتسم بطريقة لم ترق لهم وهو يقول بصوت ضاحك:  
- رجالي يقولون إنكم من المقاومة ولكني لا أصدق  
ذلك للأسف

ثم استطرد مُعرفًا عن نفسه بطريقة مسرحية وهو  
ينحني انحناءة بسيطة:

- أنا أحد قادة (المعاطف السوداء) وأنتم الآن في  
ضيافتي، مرحبًا بكم في معقلنا، إنه مُتواضع مقارنة  
بمقاركم المُجهزة بوسائل الراحة المُختلفة، فنحن هنا لا  
نتمتع بالرفاهية الكافية للأسف.

رد حسان عليه وقد ضايقه أسلوب البدين:

- قائد المقاومة أرسل رسالة إليكم تفيد بوصولنا إلى  
مقركم، من أجل...

قاطعہ البدين بفضاظة:

- ولقد تساءل أغلبنا بالفعل: لماذا تتذكرنا المقاومة الآن؟ ولماذا لم يأت زعيم المقاومة بنفسه مع كبار ضباطه إلينا بدلاً من إرسال بعض رجاله؟

قال شديد بصوت غاضب:

- أنا الحارس الشخصي لزعيم المقاومة يا سيدي ونحن جميعًا جزء لا يتجزأ من كيان المقاومة الكبير الذي نتشرف كلنا بخدمته، المقاومة فكرة وليست طريقة.

- بالعكس، المقاومة طرق وطريقتنا تختلف عن طريقتكم بكل تأكيد أيها الحارس الشخصي.

قال شديد مُقلدًا أسلوب الرجل البدين:

- بالعكس، المقاومة فكرة وكل فريق منا يطبقها بشكل مختلف لا أكثر ولا أقل.

بدأ الامتعاظ على وجه البدين فقال حسان محاولاً  
تغيير دفة الحديث حتى لا تتوتر الأجواء أكثر:

- أرجو أن تستمع إلينا أولاً قبل أن ندخل في حديث  
وجدل فلسفي لا فائدة تُرجى منه.

نظر البدين إليهم ثم جذب كرسي وجلس قبالتهم وهو  
يقول:

- تفضل يا سيدي، كلي آذان مصغية..

بدأ حسان يحكي له عن السلاح وكيفية توصله لطريقة  
صنعه، حكى له عن المنيا ووجوب السفر إلى هناك  
للبحث عن وفي مقبرة إيمحوتب، حكى له عن الرمال  
السوداء وسواحل سيناء.

حكى له عن كل شيء بالتفصيل المُمل..

ظل الرجل البدين صامئاً طوال فترة حديث حسان  
ولم تتغير تعابير وجهه حتى انتهى حسان وفرغت  
جُعبته تمامًا..



نظر الجميع إلى الرجل البدين منتظرين ردة فعله، لكنه ظل صامئًا فُتح باب الغرفة ودخل العملاق الذي كان قد استقبلهم عند الأطلال، وقد بدا أنه كان منصتًا لحديثهم من البداية، نظر إلى البدين وقال بلهجة مُحايِدة:

- حقًا، سيصبح لدينا سلاح يمكننا من مُجابهة تلك الكائنات؟

شك حسان بوجود أجهزة تصنت ما مزروعة في الغرفة..

نهض البدين غاضبًا وهو يقول:

- هذا هُراء، قادة المقاومة سكتوا دهرًا ولما نطقوا نطقوا كُفْرًا وغباءً.

أخذ يرغي ويزبد ويقول كلامًا كثيرًا بلا معني ثم أضاف بصوت حمل كل ما يعتمل بداخله من غضب وحرز:

- بعد أن كففتهم عن المقاومة تريدون الآن إهدار مواردنا في رحلات بحث عن معادن وعن مقابر فرعونية قديمة، ستتركون سلاحكم من أجل نظريات أو فرضيات علمية، قد تكون صحيحة وقد تكون خاطئة؟؟!

نظر له حسان في غضب وهو يقول:

- النظريات العملية قد توصلك للنصر الذي عجز السلاح لسنوات عن الوصول إليه.

رد البدين:

- هُراء، السلاح هو السلاح.

ثم اقترب منهم وهو يقول:

- الآن اسمعوني جيدًا..

اقترب منه العملاق وأمسك بيده وهو يقول:

- سيدي من الأفضل دراسة الامر جيدًا قبل إعطائك أي قرار، ثم إنه يجب التشاور مع بقية القادة، لا يصح يا سيدي أن تأخذ قرارك مُنفردًا.

أزاح البدين يده بعنف وهو يصيح:

- اسمعوني، المعاطف السوداء ترفض المشاركة في هذا الأمر ولو بشكل معنوي حتى..

وصمت للحظات ثم أضاف بغضب أكبر وقد بدا واضحًا أنه قد فقد أعصابه تمامًا وأصبح لا يعي ما يقول:

- بل سنعتبر أي شخص سواء من المقاومة أو من غيرها يحاول الخروج من نطاق نفوذ المقاومة المصرية والسعي وراء تلك الفكرة المجنونة مُنشقًا عن المقاومة ومُتمرّدًا واجب تصفيته فورًا.

التقط أنفاسه و صدره يعلو ويهبط بعنف ونظر إلى الوجوه التي تجلّى فيها الحزن والغضب مع خيبة الأمل ثم قال بصوت لاهت:

- هذا أمر لا نقاش فيه، هذا قرار المعاطف السوداء..

هَمَّ بالمغادرة مع الرجل العملاق لكنه استدار والتفت إليهم مرة أخرى قائلاً:

- بالمناسبة، لن تتمكنوا اليوم من العودة إلى مستعمرتكم ستظلون في ضيافتي إلى أن يحين الوقت المناسب لرحيلكم عن هنا.

هم شديد ورجاله بأن يعترضوا وأخبرهم حسان أن بذلك الإجراء ستتوتر العلاقات أكثر بين مختلف فصائل المقاومة لكن الرجل العملاق قال لهم محاولاً طمأنتهم:

- نحن لسنا أعداء أنتم فعلاً ضيوفنا، فعلى غير العادة بدأ الاحتلال مؤخراً تسيير دوريات ليلية في هذه المنطقة وقد تقتلون إذا وقعتم تحت يد إحدى تلك الدوريات فالقائد يريد فعلاً مانكم.. فحتى إن اختلفت وجهات نظرنا فنحن ما زلنا في نفس الصف..

نظر شديد ورجاله إلى بعضهم البعض ثم عادو إلى أماكنهم مرة أخرى وهم يجترون خيبة الأمل التي أصابتهم..

كان قائد المقاومة المصرية واقفًا في الساحة الخلفية الكبيرة في المُستعمرة يشاهد تدريبات المُتدربون الجُدد برفقة العجوز فاضل وعدد من كبار الضباط الآخرين..

كان نظام التدريبات قاسٍ بحق، ويهدف إلى إنتاج مُحارب صلد ومُدرب عقليًا ونفسيًا وبدنيًا، كانت فترة التدريب تمتد إلى سنة كاملة عندما ينتهي منها المُتدرب يكون جاهزًا لأي عملية أو مهمه يُكلف بها من قبل قاداته..

من بعيد جاء أحد حُرّاس القائد يهرول حتى أقترَب منه وأشار له بأن يقترب، فمال الحارس على أذن قائده ليهمس له بعدة كلمات وتغير وجه القائد وزار الغضب ملامحه، وعندما انتهى الحارس من الهمس

صرفه يغلظه، ثم استدار ليواجه بجسده كبار ضباطه  
قائلاً:

- لقد وردتنا أخبار من أحد مُستعمراتنا في دلتا النيل،  
لقد شاهدوا المُنشقين يتجهون ناحية جنوب البلاد..

رد أحد الضباط:

- الصعيد إذن، لكن لا حياة هناك، أيها القائد، فلتعطني  
العدد المُناسب من الرجال والمركبات وسأخرج وراءهم  
ولا أعود إلا بهم أو بجثتهم..

وافقه الضباط الآخرون مُستحسنين اقتراحه بينما نظر  
فاضل إلى قائده الذي قال:

- لن يُحل الأمر هكذا، لن أسمح أن يرفع أبنائي  
أسلحتهم ويقتتلون فيما بينهم.

صمت وهو يتابع رد فعلهم ثم عاد ليقول:

- لكن الأمر لن يمر مرور الكرام بالطبع، لنتظر فقط عودة شديد من معقل المعاطف السوداء وبعدها سنتناقش في هذا الأمر..

قالها بلهجة لا تقبل النقاش فطلب ضباطه الإذن بالانصراف فسمح لهم بينما وقف فاضل بجواره وهو يقول:

- هناك أمر خاطئ، لماذا يتجهون إلى جنوب مصر؟

- يمكن أنهم لا ينون المضي قدمًا إلى الجنوب، ربما سيتوقفون عند إحدى ضفتي النيل ويقيمون هناك مستعمرة لهم، لكنني أشك في هذا، فحسب التقارير الواردة لنا فهم لم يأخذوا طعامًا أو شرابًا معهم، ومن له عائلة فقد تركها هناك، الأمر أكبر من هذا، لذلك طلبت من قائد المُستعمرة التي هربوا منها البيانات كافة عن هؤلاء الذين هربوا قد نجد شيئًا ما يفهمنا دوافع ارتكابهم لتلك الحماقة..

- وأنت أيها القائد، ماذا تنوي أن تفعل؟

- سأراسل الذئاب وقادة المُستعمرات الخاضعة لنا كافة، كذلك سأبلغ المعاطف السوداء، ولنجتمع جميعًا ولنرَ ماذا سيحدث.

بدأ في السير بعد أن ألقى جملته ثم قال فجأة:

- هناك شيء أيضًا أود أن أفعله، وبلا إبطاء.

أوما فاضل برأسه فعاد القائد يقول:

- أود أن تُبث رسالة إلى مُستعمراتنا الموجودة في سيناء كافة، وفي الصحراء الشرقية، نطلب منهم فيها كمية من الرمال، ولتجعل القسم العلمي لدينا يحدد المواصفات المطلوبة في تلك الرمال..

ذُهل فاضل وقال بصوت مبحوح:

- ولكن يا سيدي، نحن ننتظر عودة رجالنا بموافقة المعاطف السوداء على...

قاطعته القائد:



- نحن نأمر والجميع يطيع، أنا قائد المقاومة الحقيقي  
اسمًا وصفة، وهذا ما أود أن أظهره، نحن على شفا  
حُفرة من الانشقاق، وأشم رائحة تمرد قادم، وأنا لن  
أسامح أو أسمح بهذا على الإطلاق.

لم يجد فاضل ما يرد به سوى أن يقول:

- كما تأمر يا حضرة القائد.

وذهب لينفذ أوامر قائده - حرفيًا -

\*\*\*

لم يتعامل رجال المعاطف السوداء مع شديد ورجالة  
بطريقة سيئة بل على العكس تمامًا عاملوهم معاملة  
راقية جدًا بحكم زمالتهم في السلاح وفي درب  
المقاومة..

أدخلوا إليهم طعامًا وشرابًا وتبغًا لشديد وكانوا  
يسألونهم عن احتياجاتهم بصفة دورية..

لكن لم يحاول أي من حُرّاسهم التحدث معهم، ولم يتبادل الخمسة أي كلمات فيما بينهم بدورهم، وكان ساعات الانتظار وما سمعوه قد أفقدهم الرغبة في الكلام، خصوصًا حسان الذي بدا وكأنه قد سمع الآن نبأ وفاة أحد أحبائه..

مرت عدة ساعات حتى انفتح باب الغرفة ودخل منها البدين والعملاق والغضب اختلط بقسمات وجه الأول الذي قال بصوت هادئ رغم غضبه:

- يبدو أن المقاومة قد قررت المضي قدمًا في خطتها دون أن تنتظر موافقتنا أو عودتكم حتى بردنا.

تعجب شديد مما سمعه فسأل البدين:

- وكيف هذا؟

جاوبه الرجل العملاق هذه المرة:

- لقد اعترضنا رسالة ميثوثة من مقر المقاومة الرئيسي تحمل توقيع قائد المقاومة، هذه الرسالة كانت موجهة

إلى فصائل المُقاومة في شرق مصر بشكل عام، وإلى الفصائل والمُستعمرات المُوجودة في سيناء بشكل خاص.

تعجب حسان وزوي ما بين حاجبيه بينما استحث شديد الرجل العملاق أن يكمل حديثه فتدخل البدين قائلاً بنفاد صبر:

- طلبت المقاومة في هذا البث كافة فرق المقاومة القريبة من الصحراء الشرقية الإتيان بكمية مُعينة وذات مواصفات خاصة من رمال أحد شواطئ مدينة طابا، وإيصال تلك الكمية إلى مقر المقاومة في أطلال القاهرة الجديدة بصحبة حراسة كافية..

عاد العملاق يقول:

- بالطبع تعجبنا من هذه الرسالة لكننا استرجعنا حديثكم معنا عن السلاح الجديد ففهمنا الأمر برمته.

قال حسان فجأة وكأنه تذكر شيئاً ما:

- لحظة واحدة، كيف تمكنت من اعتراض بث المقاومة وهو يبث على موجة سرية يستحيل اختراقها.

نظر رجلا المعاطف السوداء إلى بعضهما البعض وقال الرجل البدين:

- في الواقع نحن لم نعرض البث بل وصل إلينا كما وصل إلى أغلب فصائل المقاومة الأخرى، فالبث قد تم إطلاقه على الموجه العامة، وليست الموجة الخاصة..

ارتاح شديد لهذا الجواب في حين قال حسان:

- هذا جيد، ولكن ما المشكلة في هذا من الطبيعي أن تكون للمقاومة خطة بديلة ومن الجائز أنهم قد عرفوا بأمر احتجاجنا هنا فقررنا تفعيل الخطة البديلة.

اقترب البدين إلى أقرب مقعد إليه وجلس وهو يقول:

- المشكلة ليست في كل هذا، المشكلة أن أغلب فصائل المقاومة في المنطقة الشرقية أصبحت مثلنا تتبع المقاومة صوريًا فقط بل أصبحت في حكم المتمردة

فعليًا، لذلك إذا رغبتهم أنتم أو غيركم في الذهاب إلى هناك ينبغي وجود تشكيلات قتالية معكم لحمايتكم، أو على أقل تقدير من يذهب إلى هناك يجب أن يسلك طرق بعيدة عن أغلب مستعمرات الصحراء الشرقية، وشبة جزيرة سيناء.

اتسعت عينا شديد وقال بثورة فاجأت جميع من في الغرفة:

- لا يوجد هناك تمرد على المقاومة هذا غير صحيح، الكل يُدين بالولاء للمقاومة حتى أنتم، أنا معاون زعيم المقاومة وحارسه الشخصي كيف سيكون هناك تمرد ولا أعرف عنه شيئًا..

قال له الرجل الضخم مُحاولًا تهدئته:

- ليس كل ما يعرفه القادة أو الزعماء ومن ثم سيعرفه العامة أو المُعاونون

قال البدين:

- وجود تمرد بين صفوف المقاومة، سيسبب في حالة من الشقاق قد تنهي أي أمل لنا في مُقاومة تلك الطفيليات، ربما ستكون في هذا نهايتنا جميعًا.

سأله حسان:

- ولكن ما الذي دفع قادة تلك المستعمرات إلى العصيان والانشقاق؟

قال البدين:

- لم يعلنوا عصيانهم بطريقة ظاهرة وواضحة، فقط هم امتنعوا عن تزويد المقاومة بالمعلومات وبالرجال وبالموارد.. الوباء لم ينتشر عندهم مثلما انتشر في القاهرة والإسكندرية وجنوب البلاد، لذلك فقواعد المُحتلين هناك ضئيلة العدد.. حسب آخر المعلومات الواردة لدينا من هناك، فعند قيامنا نحن والمُقاومة قبل سنوات طويلة ببث رسالة تفيد بإنشاء المُقاومة المصرية، وردنا ردود كثيرة من مُختلف أنحاء مصر، من جماعات وكيانات وفصائل مُختلفة، تُعلن ولاءها

للمقاومة وتتعهد بالقتال لصالحنا، حتى أن قائد المقاومة الحالي وقتها ذهب إلى سيناء عدة مرات لزيارة تلك المستعمرات التي تم تكوينها حديثًا.. لكن الوضع اختلف الآن فهم يعيدون عن متناول أيدينا تمامًا..

ثم صمت للحظات وعاد يقول:

- قبل كل شيء نحن مصريون وخضنا إلى جانب المقاومة معارك كثيرة، وولأؤنا قبل كل شيء إلى مصر وشعب مصر، ولن نتردد لحظة واحدة إذا وجب علينا القتال مرة أخرى لصالح بلدنا وقومنا، لقد قررنا المشاركة معكم في كل شيء، لذلك سنرسل معكم أحد رجالنا في رحلة المنيا إلى تلك المقبرة المشؤمة.

تهللت أسارير الجميع لكن البدين استطرد قائلاً:

- سنرسل معكم خالدًا.

قالها وهو يشير إلى الرجل الضخم الذي يقف بجواره وقال:

- خالد من أقوى وأكفأ رجالنا سيكون خير عون وسند لكم.

تهللت أسارير شديد وحسان ورفاقهما لكن الرجل البدين أصر على وأد فرحتهم في مهدها حيث قال:

- لكن لدينا شرطًا وحيدًا حتى نشارككم فيما تودون فعله؛ وأعتقد أن هذا من صميم حقنا عليكم، أليس كذلك؟

لم يتلق إجابة ونظر الجميع له في تساؤل فقال:

- عند صنع السلاح، يجب تجربته قبل الشروع في أي عملية أو معركة، فإذا نجحت التجربة فنحن معكم قلبًا وقالبًا وإن لم تنجح، لا أعلم صراحة كيف ستكون الأمور وقتها ولكن الأمر سيكون صعب على كلا الطرفين..

رد عليه حسان بثقة شديدة:



- لا تقلق يا سيدي تجربة السلاح ستكون سهلة ويسيرة رغم أنني أقسم لك بحياتي أن السلاح سيعمل بمنتهى الدقة والكفاءة.

عقد شديد حاجبيه وهو يقول بنبرة غريبة:

- من قال إن اسر أحد جنود الاحتلال أمر سهل، ثم إنه لا يوجد أحد في المقاومة كلها يستطيع أن يفعل ذلك سوى فصيل واحد فقط.

نظر له البدين وكأنه يتوقع الجواب فاستطرد شديد مؤكداً تفكير البدين:

- الذئاب..

رغم معرفته المسبقة بالإجابة نهض البدين من على مقعده قائلاً بغضب:

- ما دمتُ أتنفس، لن نتعاون مع هؤلاء العسكريون المتغطرسون، أفضل أن أبقى تحت الاحتلال لمئة سنة قادمة على أن أشارك معهم في قتال..

قال خالد بصوت غاضب على غير عادته:

- لقد تخلوا عنا في أحلك وأصعب الظروف وتركونا نخوض المعارك كلها وحدنا بدون أن يمدوا لنا يد العون أو الغوث.. لا بالطبع لن أقف معهم في صف واحد.

قال شديد مُحاولًا تهدئة الأجواء التي توترت:

- لن تتعاونوا معهم أبدًا، المهم هو البدء في خطتنا والذهاب إلى المنيا ولنذع أمر مشاركة الذئاب في القتال لوقت آخر، لكن الآن يجب أن توجه جهودنا للطريق الصحيح.

نظر له البدين شذراً وخرج من الغرفة بينما ظل خالد معهم وهو يقول:

- أنتم تعلمون الكره المُتبادل بيننا وبين هؤلاء الذئاب، فكيف تودون أن نتعاون معهم.

رد شديد:

- مصلحة البلاد أهم، ونحن في أمس الحاجة إلى كل مُساعدة مُمكنة يمكن أن تقدم لنا، لقد رفضوا الوقوف بجانبنا مرة، ولكن الآن الوضع مُختلف تمامًا، ثق بهذا، إن علموا أن هناك رحلة للخلاص من هذا الكابوس الثقيل الجاثم على صدورنا منذ سنوات، سيكونون من أول المُشاركين بها.

لم يعجب خالد برد شديد فقال مُحاولاً تغيير دفة الحديث:

- ترى ماذا سيحدث اذا نجحت خطتنا ونجحنا في القضاء على الاحتلال؟

قال حسان:

- صراحة أتوقع الأسوأ، أكثر من سبعين مُستعمرة خاضعة للمقاومة، ثلاث فصائل رئيسية لا يكون الود لبعضهم البعض، الواقع بعد الاحتلال سيكون أسوأ.

استنكر شديد قول حسان ثم قال:

- أسوأ من الاحتلال، لا أظن.

كتم خالد ضحكته وهو يقول:

- طالما كانت مصر حالتها دائماً سيئة، مُحتملة أو لا، فهي دائماً مُعتلة.

ثم ضحك ضحكة ساخرة وهو يقول:

- لتخلص أولاً من الاحتلال، ونتمتع بمصر المُحررة ثم سنرى ماذا سنصنع في بعضنا البعض وقتها.

مرت لحظات طويلة من الصمت ثم تنحنح حسان وهو يقول:

- بما أن جلوسنا هنا قد يطول ولا نعلم متى سيتم إخراجنا من هنا، فأنا أريد فقط أحد أجهزة الاتصال الخاصة بنا حتى أشرح لهم الأمر كاملاً، أعني أنه يجب إبلاغ القيادة بما دار بيننا هنا، وتقديم تقرير كما تقضي أوامرنا التي خرجنا بها .

زفر خالد ثم خرج بدون أن ينبس ببنت شفة، وعاد بعد دقائق حاملاً أحد أجهزة الاتصال الخاصة بالمعاطف السوداء وليست الخاصة بالمقاومة، أعطاه لحسان وجلس على اقرب مقعد إليه وهو ينظر إليهم..

انتهى حسان من تبليغ قيادة المقاومة بآخر التطورات التي حدثت معهم في مقر (المعاطف السوداء) وعليه صدر أوامر مُشددة لهم بالعودة سريعًا إلى مقر القيادة، طبعًا في تقريره المُبسّط تجاهل حسان تمامًا إبلاغ قادته بأمر احتجاجه هو ورفاقه..

زفر حسان ونظر إلى خالد وهو يقول له:

- سيد خالد، قُل لي متي تنوون الإفراج عنا، لقد صدرت لنا أوامر بالرجوع إلى مقرنا.

- أنتم لستم محتجزون حتى يتم الإفراج عنكم هناك ظرف عارض وبمجرد زواله ستعودون جميعًا إلى مقركم، وأنا أيضًا سأكون معكم.

ظل شديد على صمته الغاضب ووجهه يحمل حنقًا  
وحزنًا شديدين..

ساد الصمت لفترة طويلة حيث افترش بعض الرجال  
الأرض وتوسدوا أذرعهم، وحاولوا النوم، البعض نجح  
في مسعاه وفشل البعض الآخر..

حاول حسان ان يفتح مجالًا للحديث في محاولة  
أخيرة منه لكسر حالة التوتر التي تُغلف جوهم العام  
فتنحنح وسأل خالد:

- من هم هؤلاء الذئاب؟ ولماذا ترفضون القتال  
بجوارهم؟

رد خالد والضيق بادٍ على ملامحه:

بالنسبة للشق الأول من سؤالك، فالذئاب هي إحدى  
كتائب سلاح مشاة البحرية المصرية سابقًا، عند اندلاع  
الأحداث في القاهرة، صدرت لهم الأوامر بضرورة  
التحرك للدفاع عن العاصمة التي على وشك أن تسقط،  
لكن قائدهم رفض الأوامر تمامًا وبقي في مقره هو

وأغلب جنوده، الذين هرب البعض منهم، لكن البقية الباقية قرروا البقاء مع قائدهم، وعندما سقطت القاهرة وبعدها الإسكندرية بدأ أفراد تلك الكتيبة في الخروج وقاتل تلك المخلوقات، ونجحوا بالفعل في السيطرة على العديد من المكعبات الذهبية التي تخصهم، وبدؤوا في حرب شوارع ضد الاحتلال ونجحوا فيها حتى باتت نصف الإسكندرية مُحررة الآن وتحت سيطرتهم الفعلية، وأعتقد أنهم الآن في طريقهم لتحرير النصف الآخر من المدينة، ولا نعلم نيتهم بعدها، هل سيتوجهون لتحرير القاهرة مثلاً وقيادة حرب التحرير أم سيكتفون بالإسكندرية، ما يميز الذئاب هو تدريبهم وتنظيمهم وأسلحتهم الحديثة بالإضافة إلى امتلاكهم لمدرعات حربية وعتاد لا يتوفر لدينا نحن باقي فئات المقاومة..

ظهر الذهول والانبهار على وجه حسان الذي قال:

- ولماذا ترفضون التعاون معهم في القتال، أرى أن التعاون معهم مكسب كبير، فإذا اتحدنا معًا سنستطيع تحرير مصر في وقت قصير.

- أنت أعمى؟ لقد رفضوا النداء، لم يحاولوا مساعدتنا في أثناء حصار القاهرة، رغم بثنا لرسائل استغاثة على كل موجات الراديو والبث الإذاعي في مصر كلها طولاً وعرضاً ولم نتلق سوى لا شيء، وبعد أن استقرت الأمور لنا ونجحنا في الهروب من القاهرة بعد قتال مرير فوجئنا بهم يبثون رسائل متتالية عن عملياتهم ونجاحاتهم في ميدان المعركة ضد الاحتلال.. وبعد أن سيطروا على نصف الإسكندرية تقريباً تواصلوا مع مجلس قيادة المقاومة أمليين في وجود مساحة للتعاون بين الفصيلين مُستقبلاً

- يمكن أن يكون عزوفهم عن المساعدة لسبب ما خارج عن إرادتهم

- لا يا صديقي، لا أعتقد هذا.. حتى إن كان هذا مُبرر فيجب إعلامنا به، أن لديهم أهدافاً خفية، لا نعلم نحن بها، لقد انتهت من فترة طويلة للغاية حروب الإنسان ضد الإنسان، وأنا الآن أشتمُّ رائحتها من بعيد، تعود لنا، مُبتسمة، مُبتهجة.. الحروب قادمة يا صديقي وهي ستبدأ الآن.



## جماعة القيامة

"هذا البيان يُبث الآن على الموجة التاسعة اللاسلكية، التي يستقبلها فقط مقر قيادة المقاومة الرئيسي في أطلال مدينة القاهرة الجديدة.. لقد خرج البشر جميعًا منذ عشرات السنين، من رحمة ونور الإله الواحد الحق، ولهذا عاقبهم الإله عقابًا شديدًا، أديانكم زائفة كما مُقاومتكم الخُرعة، اليهودية، المسيحية، الإسلام، كلها ديانات زائفة خُرعه كما هي مُقاومتكم تمامًا، فصائلكم وقادتكم، لا تبحث عن شيء سوى السلطة والقوة والمجد الزائف، أنا أدعي (المنقذ) جئت لكي أخرجكم من ضلالكم، لقد خرجت أنا و(بعض) أتباعي المُخلصين إلى جنوب مصر في رحلة تكفيرية، فتلك المنطقة هي المنطقة الوحيدة التي ستكون بمأمن من غَضبة الإله القادمة، أدعوكم جميعًا إلى ترك أديانكم وأربابكم الزائفة والالتحاق بنا في نعمة الإله التي سينالها عباده المخلصين..

اركعوا لي ووآمنوا بالإله الحق فقط..عندها سيعود كل شيء لما كان عليه قبل أن يحل غضبه عليكم..

(الْمُنْقَذ) هو خلاصكم الأوحد والأخير، من سيتبعني سينجو بنفسه، ومن يعارضني سيحاق به العذاب الأليم السرمدى، أعلنوا ولاءكم للقيامة، وانجوا بحياتكم من الأهوال القادمة، فالقيامة قريبة للغاية.."

انتهى بث البيان ومعه تعالت ضحكات قائد المُقاومة وسط دهشة وتعجب ضباطه المُحيطون به، كانت تلك المرة الثالثة التي يستمعون فيها إلى هذا البيان الذي قد سجله قسم الاتصالات التابع للمُقاومة، خفت ضحكات القائد ولمعت عيناه بالدموع ليست من فرط الضحك ولكنها دموع حقيقة فعلاً، كان على وشك البكاء..

قال أحد الضباط في صوت أقرب إلى الهمس:

- سيدي...

قاطعه ضابط آخر قائلاً بصوت غاضب:

- لدينا خط سير هؤلاء المهرجين، لنسغ وراءهم ونجعلهم عبرة للناظرين.

نظر لهم القائد نظرات خاوية، ثم شرد لدقيقة وقد بدا أن بطاريطه قد نفدت تمامًا، كان اشبه بتمثال قُد من حجر صلب بارد.. خشوا مُقاطعته أو إخراجَه من حالة شروده، أقسم بعضهم فيما بعد أنهم شاهدوا دموعه تسقط على خديه..

مرت الدقيقة كدهر حين تكلم أخيرا:

- لن نتحرك ضدهم الآن، لدينا ما هو أهم من هذا..

نظر الضابط صاحب بغضب إلى قائده وهو يقول:

- إذا مر هذا الحدث مرور الكرام فلن تكون لنا هيبة بعد الآن، سينهار اسم المقاومة وكيانها، اللذين كافحنا من أجلهما سنين طويلة.

- هذا قراري النهائي ولا رجعة فيه، لن أتحرك ضد أي مُنشق أو مُتمرد وأضيع وأشتت مجهود رجالي ونحن

على شفا حُفرة من حرب التحرير.

قال أحد الضباط:

- سيدي، نحن مُستشاروك، ومن حقنا ومن واجبك أن تستمع إلى مشورتنا لك و....

قاطعته عاصفة غضب مفاجأة من قائده الذي هب من مقعده وهو يصيح:

- ثملي على الآن ما يجب وما يجب على فعله، أهذا وظيفة المستشار الآن؟

بصوت هادئ مملوء بالتحدي قال الضابط:

- أجل، هذا سبب وجودنا هنا والآن، تنص قوانين مجلس قيادة المقاومة أن مجلس قائد المقاومة الاستشاري له الحق أحيانًا في اتخاذ القرارات المهمة نيابة عن القائد في حالة إن كان المجلس يرى عدم قدرة قائده على اتخاذ قرار في موضوع ما.

ساد الصمت بين الجميع، والصدمة قد تغلغت في نفوسهم جميعًا فلم يفكر أحد هؤلاء الضباط من قبل أنهم سيقفون أمام قائد المقاومة ويتصادمون معه..

نظر لهم القائد وهو يقول ببرودة جمدت آذانهم:

- حسنًا، هو القانون إذن، سأدرس الموقف بأكمله للمرة الأخيرة، ولنرّ تكلفة إخراج حملة لجنوب البلاد لقمع هذا التمرد، لكن لا قرارات الآن إلا بعد عودة رجالنا من معقل المعاطف السوداء، عندها سنرى ما سنفعله..

تبادل الضباط نظرات حائرة فيما بينهم، فقد خاضوا مع قائدهم كل قتالات المقاومة كتفًا بكتف، لقد بنوا معه المقاومة، اسمًا وفعلاً، كانوا أحد أجزاء مجلس قيادة المقاومة منذ تأسيسه حتى الآن لم يجرؤ أحدهم قط على معارضة الزعيم، عندما كانت قراراته صائبة، لكن الآن.. الأمور تتغير دائمًا ولا شيء يظل على حاله.. أو هكذا ظنوا.

لم يرد عليه أحدهم فصرفهم القائد وجلس وحده لبضع دقائق صامتًا شاردًا، ثم نهض فجأة وكأنه تذكر أمر ما، حيث توجه إلى مكتبه وأخرج من أحد أدراجة جهاز اتصال غريب الشكل، ليس من النوع المستخدم بين صفوف المقاومة.. بل نوع كان قد نسي وجوده بحوزته، ربما ما تبقى له من أمل يكمن في هذا الجهاز الغريب..

وبدأ قائد المقاومة في إجراء اتصاله..

\*\*\*

## ذا ثاروس

جلس ذا ثاروس مهيبًا عملاقًا على عرش والده المصنوع من حجارة أحد الجبال البركانية، مُمتشقًا سيفه الكبير مستطيل الشكل المطروق في قلب جبال الجان، ويرتدي درعه الحربية الحمراء كاملاً.

أمام عرشه وفي مُنتصف قاعته وقف مساعده أزييم الذي قال له وهو حاني الرأس بخضوع:

- أيها الملك، باعتبارك أكبر ملوك الجان السبعة وزعيم أكبر قبيلة من قبائل الجان الأحمر، فزعماء بقية القبائل والعشائر يطلبون منك الغوث الآن، لقد عرفوا قيمتك قيادتك وقيمة جنود في المعارك والآن هم يتمنون قيادتك لجحافلهم.

لم يتحرك ذا ثاروس من على عرشه لكنه قال بتشفٍّ واضح:

- أغبياء رفضوا قيادتي لهم في البداية لقتال هؤلاء العمالقة وعندما قابلوهم في ميدان القتال وهزموا منهم شر هزيمة يعودون الآن لي، مذلولين، مدحورين.

ابتسم أزيم وهو يقول:

- اغفر لهم يا مولاي، انهم لم يعرفوا مقدار بأسك وشجاعتك من قبل، ربما عرفوا مقدار قوة السيد والدك، لكن قوتك لهم غير معلومة، ولكن الآن الوضع مختلف، من سينقذ عالم الجان إن لم ينقذه ابن كبيرهم وسيدهم.

ضحك ذا ثاروس ضحكة قصيرة ثم قال وهو ينوي أن يتلاعب بمن يدخل عليه أيًا كان ماهيته:

- أدخلهم لنرى ماذا لديهم ليقولوه لنا، ربما ينالون شفقتنا وعطفنا.

انحنى أزيم وعلى وجهه ابتسامة خبيثة، ثم تراجع عدة خطوات وشفق بيديه وهو يصيح بلهجة امرأة:



- الباب .

ليُفتح باب قاعة ذا ثاروس ويدخل ثلاثة من كبار  
زعماء قبائل الجان..

سارو حتى وصلوا أمام عرشه الحجري كانوا متباينين  
الشكل والحجم بصورة غريبة، أحدهم كان نحيل  
كالعصي وقصير، لا يتجاوز طوله الخمسين سنتيمترًا،  
والآخر كان عملاقًا مهيبًا طوله يتجاوز السبعة أمتار  
ويملك أجنحة قصيرة وقرون صغيرة ملتفة حول  
نفسها، أما الأخير فكان من الأبالسة، أخطر أنواع الجان  
وأذكاهم وأمكرهم..

وقف ثلاثتهم أمام عرش كبير المردة فنهض لهم  
ذا ثاروس في احترام وهو يقول:

- مرحبًا بكم أيها السادة الكرام، ترى ما سبب تشريفكم  
لقائد وملك حديث العهد مثلي أنا؟

تحدث الإبليسي أولاً بصوت به فحيح ولسانه  
المشقوق كالحية يرقص خارجًا من فمه:

- جئنا نطلب منك تجديد عهدك الذي يجمعك بسادة قبائل الجان، العهد الذي أقسم أبوك به، الولاء للجان بكامل أطرافه، هُنَاكَ حرب نخوضها في الأرض الجنوبية وجنودك لا يوجدون في ميدان القتال كما يفترض بهم أن يكونوا أيها الملك..

نظر له ذا ثاروس بخواء وهو يقول:

- لقد طلبت الانضمام إليكم في القتال وقيادة شاراتكم الذاهبة لأرض المعركة، أليس كذلك، إذن مَنْ مِنَّا يحتاج إلى تجديد عهده، أنا أم أنتم؟

تكلم القصير للمرة الأولى فخرج صوته كطنين آلاف الأجراس وهو يقول:

- أنت طلبت قيادة جيوش الجان كافة، من كان يقبل بهذا الأمر، تولية قائد حديث العهد أكبر جيش تم حشده في تاريخ الجان بأكمله، حتى أبيك الراحل كان ليرفض أمر كهذا..

زمجر ذاثاروس وتحرك بعصبية فتحركت حرملته  
الحمراء خلفه ونزل الدرجات المؤدية لعرشه الحجري  
وسار بخطوات واسعة عصبية حتى وقف أمام  
المخلوق القصير وقال له:

- أبي الراحل كان ليود رؤيتنا ننتصر، أبي الراحل كان  
ليود رؤية سيادتنا على تلك الأرض تدوم، من قال لك  
إنه كان سيرفضني، أي أحد جديرًا بالقيادة سيتولاها  
أنا أو قائد غيري.

توتر الجو فحاول أزييم أن يتدخل ليهدئ حدة  
الموقف التي تنذر باشتعاله:

- يا مولاي، السادة الكبار لا يقصدون أبدًا التقليل من  
شأنك أو مكانتك.. لطالما كانت قبيلتنا من المردة  
والغيلان في مقدمة صفوف الجان المحاربين في أي  
معركة يخوضها جنسنا، فتلك ليست أول مرة نتوحد  
فيها ضد عدو ما.

عاد الشيطان الإبليسي يُداهن ذاثاروس:

- مكانك محفوظ في مجلس حربنا يا ذاثاروس أو في  
مقدمة جيوشنا، نحن لا نتخلى عن بعضنا أبدًا

نظر لهم ذاثاروس بأعين حمراء كالجحيم المُستعر  
وقال بهدوء:

- إذن أنتم تريدون مني قيادة الجيوش في حربنا ضد  
هؤلاء العمالقة؟

تكلم العمالق لأول مرة فخرج صوته عميقًا، أجش،  
بطيئًا:

- أجل أنا هنا أقدم لك الطلب الصريح لقيادة قومي في  
حربنا القادمة..

سار ذاثاروس ببطء وخيلاء حتى جلس على عرشه  
الحجري ونظر إليهم لوقت ليس بقصير ثم قال:

- موافق، أنا موافق ولكن لي شرطان لن أتخلى عن  
تحقيقهما حتى لو رأيت دماء الجان تسيل على الأرض  
أنهارًا.

نظر له الشيطان الإبليسي بخبث وقال:

- أستحاول الاستفادة من الموقف الآن وتفرض علينا شروطك لحاجتنا إليك وإلى مرافقيك؟

كان يحاول أن يشوه صورة ذا ثاروس أمام مرافقيه وأن يجعله في صورة الانتهازي الباحث عن المجد والسلطة على حساب كافة باقي عشائر وقبائل الجان الأخرى.

رد ذا ثاروس:

- فلتستمعوا إلى شروطي أولاً قبل اتهامي باتهامات باطلة لا أصل ولا أساس لها من الصحة.

رد العملاق بصوته الأجرس:

- لك هذا يا ذا ثاروس، اعرض علينا أمرك.

- أول شروطي، خلال المعركة لن يؤتمر أي جندي بغير أمري، جنود الجيش كافة سيكونون تحت إمرتي، ومن

يخالف ذلك سواء أكان جُنديًّا أو سيّدًا أو أميرًا، سأخذ قواي كافة وأنسحب من ميدان المعركة بلا رجعه هذه المرة..

همّ الإِبليسي بالتعليق إلا أن ذا ثاروس قاطعه بإشارة صارمة من يده فابتلع كلماته على مضض في حين تابع ذا ثاروس الحديث قائلاً:

- ثاني شرط، بعد انتهاء الحرب ستخضع كل قبيلة من الجان المردة أو الغيلان لحكمي ولكمّتي وليهاجروا من أراضيتهم الحالية ليستوطنوا أرضي أنا ويعيشوا بين أبناء شعبي لهم ما لنا وعليهم ما علينا وكل قادتهم سيصبحون أعضاء في مجلسي الحربي، وسيُرت نسلهم ألقابهم ووظائفهم. نظروا جميعًا إلى العملاق الذي قال من فوره وهو ينظر إلى ذا ثاروس نظرة ذات مغزى:

- لا أعتقد أننا سنرفض تقاسم الأرض مع أبناء العمومة.

قال ذاثاروس والارتياح يطغى على صوته:

- هذا جيد، أليس كذلك؟

صمت الثلاثة وهم ينظرون إلى بعضهم البعض ثم قال  
القصير:

- أعتقد أننا متفوقون، فشروطك لا تضر أو تمس سيادة  
أي قبيلة، ومن سيعلم لك الولاء بعد المعركة هم أولاد  
عمومتك فلا دخل لنا بهم، نحن نتفق معك

قال ذاثاروس بنفس الراحة:

- طيب، لنستنفر قوانا ونحشد جنودنا ولنستعد  
للمعركة، التي أتمنى أن تكون الأخيرة.

\*\*\*

أطلال القاهرة الجديدة..

أوائل عام ٢٠٥٠ م..

في إحدى المُستعمرات الخاضعة لقيادة المُقاومة العليا وفي أحد أبراج حراستها العالية المُطل على مساحة شاسعة من الصحراء الجرداء يتخللها أطلال وأنقاض مجمع سكني قديم تم تدميره، وقف ضياء مع رجل طويل القامة قوي البنيان يرتدي زيًا عسكريًا مُموهًا ويدخن سيجار كبير، ينفث دخانه كتّين غاضب..

كان ضياء يقول له بخبث:

- قيادة المقاومة ستقوم بإقصاء كل قادة المستعمرات الحاليين من مناصبهم، وسيسندون القيادة تلك إلى قادة جدد ولائهم مضمون للمجلس الحالي، وأعتقد أن مصير القادة القدامى لن يكون جيدًا أبدًا..

رد الرجل بغضب شديد:

- لماذا؟

- لا أعرف، ولكن التسجيلات التي أتيتك بها لا تكذب، لقد سمعت بأذنك ورأيت بعينك.



- وكيف حصلت على تلك التسجيلات؟

- المُقاومة بداخلها العديد من الرافضين لسياسات المجلس الحالي، ونحن الآن نجمع الرجال الأخيار الذين يكونون حبًا عظيمًا لبلادهم، وأنت منهم يا سيدي، أرجوك يجب ان تنقذ نفسك وقومك من مصير أسود قادم.

نفث الرجل الطويل دخان سيجاره مع غضبه المكتوم وهو يقول:

- لقد قاتلت في كل معارك المقاومة وقتلت العشرات من المحتلين وأنقذت مئات البشر وحافظت على مستعمرتي وعلى مواردها الضئيلة التي بالكاد تكفينا للبقاء أحياء وبالنهاية يقررون اقصائي من منصبي، هيهات لقد حصلت على ما أستحقه بالدم، ولن أتخلى عنه سوى بالدم فقط..

تجلت السعادة على وجه ضياء لرؤيته تأثير كلماته على الرجل الطويل وقرر إعطائه ضربة أخرى فقال له:

- ليت الأمر يقتصر عند هذا الحد، فكما سمعت سيرسلون أوامر لقادة المستعمرات المشكوك في ولائهم للحضور إلى مقر قيادة المقاومة ويعتقلوهم، أما من يرفض الأمر فستقوم القيادة بإرسال تشكيلات قتالية للقبض عليه وربما تصفيته أيضًا فهم لا أمان لهم..

رمى الرجل الطويل سيجاره بحنق وعصبية وزاد احتقان وجهه إثر غضبه الشديد وهو يقول بصوت مُختنق من فرط الانفعال:

- يرسلون إلى انا مجموعة قتالية لأسري، لن يسمح رجالي بهذا، لن يسمح قومي بهذا.

ربت ضياء على كتفه وهو يقول:

- بالطبع لن يسمح رجالك بهذا كذلك هناك العديد من قادة المستعمرات الأخرى الذين رفضوا هذا الأمر.

لم يرد الطويل وأشاح بوجهه بعيدًا ناحية مباني مستعمرته فعاد ضياء يقول:

- كل قادة فصائل المقاومة في سيناء يستعدون، ويحشدون رجالهم من أجل هذا اليوم ولذلك يجب أن تكون أنت أيضًا مُستعدًا.

نظر له الرجل الطويل وقال بشك:

- هل انت متأكد من هذا؟ اراك واثقًا للغاية من كلامك..

ثم اقترب من ضياء محددًا في عينيه الزرقاء وهو يقول بصوت خفيض:

- لولا إصرار قادة المقاومة في سيناء على أن أقابلك وأسمع وأرى ما لديك لكنت قد قتلتك وأرسلت رأسك إلى مجلس قيادة المقاومة، فهم لم يفصحون عن ما لديهم، وأخبروني أن هناك رسولًا سيأتي بأخبار مهمة..

نظر له ضياء نظرة أرهبته وقال:

- أنا لي مصادري الخاصة داخل مجلس قيادة المقاومة ولقد حذرتك وأنت حر بالطبع في تصديق او عدم

تصديق ما أقوله لك، لو تود قتلي فافعلها هنا، والآن  
كما تقول، ولكن صدقني لن يطول الوقت حتى تلحق  
بي وبأبشع وسيلة ممكنة..

أرهبت كلماته الرجل الطويل الذي قال بحزن:

- لن أستطيع الخروج عن المقاومة وشق عصي الطاعة  
- مستعمرتك تعتبر من أقوى المستعمرات في مصر  
كلها، لديك أسوار ضخمة وعدد كبير من الرجال  
والأسلحة والعتاد، لماذا تصر على أن تلعب دور الرجل  
المهمش؟

ثم زفر وعاد يقول بلهجة الناصح الأمين:

- تواصل مع قادة المقاومة في سيناء والمنطقة  
الشرقية وأعلن ولاءك لهم، وإذا حاول مجلس قيادة  
المقاومة أن يمسك بسوء فستجد آلاف الرجال  
موجودين هنا لحمايتك.

رد الرجل الطويل:

- هكذا سأخون.

أمسك ضياء الرجل من كتفيه بقوه وهو يقول:

- بعد عدة أيام فقط من الآن سيأتون لك بقوات ضخمة لإسقاطك ولن يحميك منهم أحد وقتها، قو دفاعاتك ووزع السلاح على جميع ساكني مستعمرتك، وامنع دخول أو خروج أي أحد منها، بعدها تواصل مع المقاومة في سيناء وهم سيخبرونك بالخطوة القادمة..

نظر الرجل الطويل في عيني ضياء مطولاً ثم قال له:

- دعني أفكر في الأمر قليلاً، الموضوع ليس بتلك البساطة.

نظر له ضياء ثم أشاح بوجهه بعيداً عنه وهو يقول:

- فقط لا تتأخر، فان تأخرت فيما اقوله لك لن تجد رجال المقاومة فقط أمامك بل ستجد المعاطف السوداء والذئاب أيضاً.

اتسعت عينا الرجل ذهولا وغضبا وخوفاً معاً فعاد ضياء يقول:

- لا تتأخر في التفكير يا صديقي فكلما تأخرت تقترب من الموت خطوة إضافية..

رأى ضياء أنه قد أصاب الرجل الذي صرفه شارداً في مقتل، وبمجرد نزوله من على الأسوار، والتأكد من ان لا أحد حوله أو يراقبه، أخرج جهاز اتصال صغيراً ودقيقاً للغاية من حزامه وأدناه من فمه وهو يقول:

- الرجل معنا الآن، سيتأخر رده بعض الوقت لكنه لنا أنا متيقن من هذا، أنصح أن تدعوه بأن يعلن التمرد على قيادة المقاومة، وليحاربهم هو بعض الوقت لينهكهم، حتى نحشد نحن قوتنا الرئيسية ونضرب ضربتنا الكبرى..

أنهى جملته والابتسامة الخبيثة التي على فمه تتسع حتى تحتل وجهه كله، لقد عاد مرة أخرى، لكن هذه المرة سيغير مصائر الجميع..

## المتمردون

مرت عدة ساعات، استفحل الارهاق وغزا النوم الجفون، لكن الرجال لم يهنؤوا بغفوتهم القصيرة حيث أفاقوا على صوت فتح الباب ودخول الرجل البدين، كان متوترًا وقلقًا بشكل لم يعهده فيه رجله خالد من قبل حتى إنه سأله فور رؤيته وهو يهب من رقدته:

- ماذا هناك؟ هل تتعرض الأطلال لهجوم ما؟!

هز البدين رأسه نافيًا وهو يقول لاهثًا:

- لا، هناك ما هو أسوأ من ذلك.

وجمت الوجوه وغزتها الصدمة فتابع هو:

- لقد أعلنت قيادة المقاومة حالة الطوارئ (أ).

اتسعت عينا شديد في ذعر يناقض مظهره الشرس في حين سأل حسان بجهل حقيقي:

- ما حالة الطوارئ (أ) تلك؟ وما الذي يعنيه إعلانها في هذا التوقيت، هل لها علاقة بمهمتنا؟

أجابه شديد هذه المرة بصوت مختنق:

- حالة الطوارئ (أ) تعني استنفار لكافة المستعمرات والفصائل الخاضعة للمقاومة القريبة من مقرها والبعيدة عنه، بموجبها يجب أن ترسل المستعمرات القريبة من مقر قيادة المقاومة أقصى عدد تستطيع الاستغناء عنه من الرجال والسلاح والمركبات.

ثم توجه ببصره إلى البدين وهو يسأل:

- لكن ما سبب إعلانها؟

قال البدين بصوت متردد:

- هناك حالة تمرد وعصيان في مستعمرة (المرصد الفضائي) التي تقع على بعد تسعة كيلومترات فقط عن مقر قيادة المقاومة الرئيسي، لو كانت تلك المُستعمرة بعيدة لتم إعلان الحالة (ب) لكن لقربها



الشديد من مقر القيادة فكان يجب إعلان الحالة (أ)، فقادة تلك المستعمرة، منذ نصف ساعة فقط قاموا ببث بيان يعلنون فيه عدم شرعية مجلس قيادة المقاومة الحالي، بل أعلنوا أيضًا ولائهم إلى قادة المقاومة المُتمردين في سيناء.

ساد الصمت بين الجميع إثر صدمة الخبر بينما تابع البدين قائلًا:

- كذلك تم توجيه دعوته إلينا لإرسال عدد من مقاتلينا إلى مقر قيادة المقاومة للمساعدة في قمع التمرد وإخضاعه.

ثم صمت لحظات مفكرًا ثم ترجم أفكاره إلى حديث:

- المقاومة ستخضع تلك المُستعمرة بالدم والنار، القائد لن يتهاون أبدًا في هذا، فهذا أول تهديد حقيقي يواجهه منذ حصار القاهرة.

قال خالد بتردد:

- وماذا سنفعل نحن؟

رد البدين سريعًا:

- المعاطف السوداء لا هم لها سوى وحدة البلاد فقط، والتمرد سيفتح علينا أبواب لا قبل لنا بها، لذلك المعاطف السوداء ستقف مع القيادة في هذه المحنة.

تهللت أسارىهم فتابع قائلاً بلهجة أمرية:

- استعدوا، فسوف تغادرون مع مقاتلينا الذاهبين إلى مقر قيادتكم.

ثم وجه الحديث إلى خالد قائلاً:

- ستكون أنت على رأس أول دفعة من رجالنا الذاهبين، خُذ معك سبعين مُقاتل وست مركبات، قسمهم إلى مجموعات حسبما ترى أنت

أوماً خالد برأسه وخرج مسرعًا ينفذ أوامر قائده الذي قال مبتسمًا:

- خرجتم من مستعمرتكم تنشدون وجود (المعاطف  
السوداء) في صفكم، وقد نلتهم ما طلبتم..

ثم اتسعت ابتسامته وهو يقول:

- إذا كان حظنا حسن مثل حظكم فسننال معركة سهلة  
ونصرًا سريعًا.

\*\*\*

مصر القديمة..

معبد كبير الكهنة في جنوب البلاد.

(قبل موت الحكيم إيمحوتب بعدة أشهر)

دلف كبير الكهنة إلى غرفة الحكيم إيمحوتب ليجده  
واقفًا ناظرًا عبر نافذة غرفته المُطلّة على الصحراء  
الشاسعة مُترامية الأطراف، التي تمتد إلى مد البصر  
بلا نهاية..

شاردًا، مهمومًا، حزينًا كان هو حاله.

حتى أنه لم ينتبه إلى دخول كبير الكهنة إلى غرفته الذي أغلق بابها ورائه وتقدم ناحيته وهو يقول بصوت هادئ وقور:

- كيف حالك أيها المهندس؟ لماذا تقف عندك هكذا، هل الغرفة غير مريحة لك؟!

التفت إيمحوتب إليه وهو يقول:

- أنا بخير أيها الكاهن الأكبر، بخير؛ منذ متى وأنت هنا، أنا لم أشعر بك؟

تنهد الكاهن بأسى وهو يقترب من إيمحوتب قائلاً له:

- أنت تُرهق نفسك للغاية يا صديقي، لقد دقت الباب وأنت لم تسمعها، خشيت أن يكون قد أصابك مكروه، فوددت الاطمئنان عليك، لقد زال الخطر يا إيمحوتب، زال إلى الأبد وبلا رجعة، لماذا تثقل نفسك بهموم أمر حدث وانتهى؟

"الشر لا يغادر الأرض ما ظل البشر، فلولا وجود الإنسان ما وجد الشر قط"

قالها إيمحوتب وهو يسير بخطوات هادئة نحو أقرب مقعد له ليجلس عليه بهدوء داعيًا صديقه للحاق به، فتوجه الكاهن الأكبر بدوره إلى أقرب المقاعد القريبة من إيمحوتب وهو يقول:

- أعلم هذا يا صديقي أعلمه وأومن به أشد الإيمان ولكن ما الذي ..

قاطعه إيمحوتب بأسلوب خالٍ من اللياقة:

- سيعاودون الكرة مرة أخرى، لن يستريحوا أبدًا حتى يسيطروا على تلك الأرض بمن عليها، هذا المرض الذي قد أصاب قومي قبل الحرب، كان من صنعهم، لكن كيف فعلوها وكيف يستيقظون من ثباتهم وما العامل المُحفز لذلك، لم أستطع أنا أو أعتي عقول قومي عن تفسير ذلك قط.

تنهد الكاهن بأسى ممزوج بالحزن في حين عاد  
إيمحوتب يقول:

- كما نعلم أنا وأنت أن هناك كائنًا واحدًا فقط في هذا  
الكون يستطيع دحرهم إن عادوا.

قال الكاهن:

- معركة ذلك الكائن التي خاضها ضدهم مازالت  
أسطورة تتناقلها الأجيال عبر العوالم.

إيمحوتب:

- نعم، إنني أتذكر أحداث تلك المعركة التي حكاها لي  
أجدادي منذ أن كُنت صغيرًا.

ثم صمت لحظات ونظر إلى الكاهن الأكبر وهو يقول  
ضاغظًا على كل حروف كلماته:

- تخيل يا صديقي، أنا أراها كل يوم في أحلامي.

امتطى ذاثاروس فرسه الحمراء ذات القرن الواحد في  
مقدمة رأسها الأصلع مُرتديًا كامل درعه الحربي البراق  
هو ومطيته التي كانت أيضًا مُدرعة..

كان واقفًا في ساحة المعركة التي حددها هو وقادة  
الجان الآخرين يُقسم قواته وفيالقه، ذاثاروس عقليته  
العسكرية جبارة وفائقة، كما أن قوته هائلة ويتمتع  
بولاء أتباعه المُطلق، مُسيطرًا عليهم بقبضة لا تلين، كل  
هذا جعل كبار الجان الآخرين يخشونه، ويخشون قوته  
التي تتناقل الحكايات والأساطير عنها..

أما أزييم مُساعده وساعده الأيمن كان يرتدي درعًا  
أسود اللون كالليل، يغطيه من رأسه حتى أخمصي  
قدميه لا يظهر من جسده سوى عينيه الصفراوين  
المشقوقتين طوليًا كالزواحف، ممتطيًا فرسًا شبيه  
بفرس قائده إلا إنه كان أصغر منه حجمًا.

قال أزييم لقائده عندما اقترب منه الأخير:

- هل تعتقد يا سيدي أن خوض معركة في أرض مفتوحة سيكون في صالحنا؟ لماذا لا نستدرجهم إلى أحد قلاعنا في الجبال، ونعلمهم كيف يكون القتال الحقيقي؟

رد ذا ثاروس:

- إنهم عمالقة وأقوياء جدًا، لن تصمد أسوارنا أمامهم طويلاً، ولنفترض أنهم ضربوا حصارًا علينا طويل الأمد، لن نستطيع الصمود.

زمجر أزييم وهو يقول:

- نحن أيضًا عمالقة وأقوياء يا سيدي.

نظر له ذا ثاروس بنفاد صبر واضح وهو يقول:

- أتعرف يا أزييم، أنا أنظر إلى هذه المعركة على أنها فرصة لإثبات قوتنا أمام سادة بقية القبائل والعشائر، لكن بعد تفكير وجدت أن تلك المعركة هي الحد الفاصل بين فناؤنا واستمرار سيادتنا، إن فرغ هؤلاء



العمالقة من باقي جيوش وقبائل الجان فسيأتون إلينا وساعتها لن تكفي قوتنا وحدها لصدّهم، وسنُباد.

قادهم الحديث للابتعاد عن صفوف الجيش الأمامية فأدار ذاثاروس لجام فرسه ليعود به إلى طليعة جيشه في حين أصدر الأخير حوار مختنق وهو يتحرك ببطء بسبب تدريعه، وتحرك أزييم في عقبه..

وصل ذاثاروس إلى مقدمة الجيش ليجد كل قادة قبائل الجان في انتظاره وارتفع صوت الإبليسي يقول بخبت:

- حسبت أنك ستقاتلهم وحدك يا ذاثاروس؟!

رد ذاثاروس بهدوء كأنه الضحكات الخافتة التي انطلقت إثر عبارة الشيطان:

- أنا شجاع، قوي، لكني لست مجنونًا بالتأكيد.

ثم صمت راميًا إياه بنظرة كفيّلة بحرقه وعاد يقول بصوت أعلى:

- الكل يقول إنه من الخطأ مواجهة هؤلاء العمالقة في ساحة قتال مفتوحة لكني أقول لكم أن هذا هو الحل الوحيد لدينا حتى نستطيع أن نستغل بُطأهم، وناور بكل قواتنا في حرية تامة.

ثم أشار إلى منتصف ميدان القتال وهو يقول:

- سنقف كتلة واحدة كبيرة سنستغل تدريعا في صدهم، سندعهم يأتون ويخترقون صفوفنا بكامل قوتهم وأعدادهم وقتها سندحرهم تمامًا سأظل أنا في المقدمة مع فرساني أصددهم بقدر استطاعتي وأحاول منعهم من اختراق صفوفنا بشكل كامل ريثما تصبح كل قواتهم داخلنا عندها سنحرك باقي قواتنا من خلفهم وسنقوم بمحاصرتهم.

كانت خطه ذا ثاروس تنطوي على مخاطرة كبيرة للجان، فإن فشلت محاولة صد الهجوم ونجح العمالقة في اجتياح هذا الجيش فستنهار مقاومة الجان تمامًا، فقد كان هذا آخر جيوشهم التي استطاعوا حشدها، للمعركة الأخيرة..

كاد أحد القادة أن يتكلم عندما صدر ضجيج عالٍ للغاية واهتزت الأرض من تحت أقدامهم، ورأوا الغبار يتكاثف وعلى مد البصر رأوهم..

عملاقة هم حقًا يناهز أقصرهم التسعة أمتار طولًا، لونهم أبيض شديد البياض كالحليب، تغطي أجسادهم بكثافة شعر قصير مُدبب بني اللون لا يسترها سوى جلود خفيفة للغاية بلا أي تدريع أو حماية، أعينهم سوداء كسواد الليل الحالك..

يمسكون سيوفًا طويلة رفيعة براقّة، بمقابض من عظام الحيوانات، وكانت صفوفهم الأمامية بأكملها تحمل تروس مصنوعة من خشب الأشجار، مصنوعة بحرفية شديدة.

نظر لهم ذا ثاروس مأخوذًا للحظات، ثم نفض عن نفسه زهوله سريعًا وهو يصيح بصوت عالٍ:

- انفخوا الأبواق ونظموا الصفوف.

دبت الروح في الجيش فتحرك الجميع بانتظام وسرعة  
وانتقان وارتفعت أصوات الابواق المختلفة..

تقدم حملة الرماح الطويلة المُدرعين جيدًا إلى مقدمة  
الصفوف وتجهز الجميع للاصطدام الأول..

أخيرًا توقف جيش العمالقة على بعد مئات الأمتار  
منهم، توقفوا دون أن يصدر منهم أي صوت، كأنهم  
تماثيل قُدت من الحجارة، انحبست الأنفاس في  
الصدور وشعر جنود الجان بالرهبة، فأغلبهم قد لاقوا  
هؤلاء العمالقة في ميادين القتال المُختلفة ولم يحققوا  
أمامهم أي نجاحات او انتصارات تُذكر، حتى أن أحد  
القادة الذي انسحب بعد خسر نصف فيلقه في القتال  
ضدهم أعدوه انتصارًا لهم..

حتى ذاثاروس نفسه بدأت الرهبة تسيطر على نفسه،  
وشعر بالخطر الذي يقترب منه، شعر بالموت الذي  
يلقي بنفسه بين أحضانه.. لكن أكثر ما كان يقلق  
ذاثاروس وقتها هو عدم تقدم جيش العمالقة

لمهاجمتهم، وشعر أن قائد هذا الجيش إن كان له قائد هو حقاً شخص مكير وله عقلية عسكرية..

قاطع أزييم حبل أفكاره بأن قال بصوت خافت:

- لن يهاجمونا يا سيدي، يريدون منا الهجوم، وتشتيت جيشنا على مُقدمتهم المُدرعة بتلك الأخشاب الثقيلة..

تحرك ذاثاروس وفرسه من تحته بعصبية واضحة وهو يقول:

- خطتي كلها تعتمد على أن يكون الهجوم من نصيبهم والدفاع منا، لذلك سأجبرهم على الهجوم، ارفع راية الجنود الطيارين وانفخ في بوقهم.

نظر له أزييم برعب وهو يقول:

- سيدي، الطيارون هم نخبة جنودنا، ومصدر قوتنا الرئيسية وعددهم قليل للغاية، هل سيهاجمون وحدهم؟!

رد ذا ثاروس ببرود:

- أجل سيهاجمون وحدهم..

هم أزييم بالتحرك لتنفيذ أمر قائده إلا أن الأخير استوقفه وهو يقول له:

- مُر قائدهم بأن يهاجم من عليّ، كر وفر لمدة طويلة، إيقاع أكبر عدد من القتلى وسطهم هو هدفه الأول والأهم، سيظل يهاجم وبعدها ينسحب فجأة باتجاهنا، عندها سأكون أنا وفرساني كحائط صد لموجة هجومهم..

- وإن لم يتحركوا بعد انسحاب الطيارين يا سيدي ماذا سنفعل؟!!

- سننتظر، لكن الآن اذهب ونفذ ما قُلته لك.

هرع أزييم لينفذ أوامر قائده في حين التفت ذا ثاروس إلى قادة وكبار الجان من خلفه الذين تعلقت أبصارهم به وقال:

- سأرسل لهم أقوى جنودي حتى استدرجهم  
 لمهاجمتنا، عندما نرى جميعًا انسحاب قواتي وملاحقة  
 العمالقة لهم، وبداية هجومهم علينا، سأمتص أنا  
 وفرساني الهجوم وسأمنعهم من بلوغكم، حتى تكتمل  
 عملية تطويقهم من الجانبين، بعدها سأقوم أنا  
 بالضغط على مقدمة جيشهم والبقية لا تحتاج إلى  
 شرح.

مع آخر حروف كلماته، انطلق من بوق صوت رفيع حاد  
 يشبه الصرير ومن مقدمة الجيش خرج أحد الجنود  
 رافعًا راية زرقاء اللون.

وانطلقت أسرابهم صوب جيش العمالقة، كانوا أقصر  
 من جنود ذا ثاروس كافة حيث أطولهم يبلغ خمسة  
 مترات وأقصرهم مترين، أجنحتهم طويلة  
 وقوية، ممسكين بحراب طويلة يعادل طولها ثلاثة  
 أضعاف طول حاملها

سمعوا صوت الهمهمات الغريب يأتيهم من جيش  
 العمالقة الذين رفعوا سيوفهم الطويلة عاليًا وأخذوا

وضعیات دفاعیة لصد هجوم الطیارین الذین بدأ هجومهم..

كان هجومهم غیر مؤثر كثيرًا على العمالقة حیث لك یسقط منهم فی موجة الهجوم الأولى لكنهم نجحوا فی استفزازهم، كان الواحد منهم ینقض على أحد العمالقة غارزًا رُمحه فی جسده ثم یطیر هاربًا.

دبت الفوضى فی مقدمة جيش العمالقة ورأى أحد كبار الجان أن هذه فرصة مواتیة للهجوم فقال صائحًا:

- لنهجم الآن یا ذاثاروس، لن یستطیعوا صد هجومنا.

رد علیه ذاثاروس سریعًا:

- لیس الآن.

تعالت همهمات الاعتراض من كبار الجان لكن ذاثاروس تجاهلها تمامًا فقد كان كل تركیزه مُنصبًا على المعركة الدائرة أمامه..



كان بعض جنوده الطيارين قد سقطوا لكن خطته قد نجحت بشكل كبير حيث بدأ العمالقة بمهاجمة ومطاردة جنوده المنسحبين فصرخ ذاثاروس:

- الآن.

وانطلق بفرسه صائحًا بقوة وهو ممتشقا سيفه المرعب وانطلق نحو العمالقة وورائه فرسانه المدرعين..

تلاقى الجيشان انسحق بعض الجان من ذوي القامات القصيرة في حين صمد البعض الآخر ورد الهجوم بهجوم أعنف منه..

كانت سيوف العمالقة تصيب أربعة أو خمسة من الجان في كل مرة يطوحون بها في سيوفهم..

أخذ ذاثاروس يقاتل شاقًا طريقه بحد السيف..

كانت أطوال قامته هو وجنوده قريبة للغاية من أطوال العمالقة فكان قتالهم متكافئ إلى حد كبير،

وهذا هو ما بني عليه ذاثاروس خطته، حيث حمل هو وفرسانه حملة أخيرة على جيش العمالقة مما أدى إلى انهيار قلب جيشهم سريعًا أمام سرعة وتدريب وقوة فرسان ذاثاروس، وبدأ ذاثاروس في إبادة قلب جيش العمالقة تمامًا، والتف بقواته محاصرًا بقية الجيش، بينما يرى جنود بنو قومه ينفذون الجزء الخاص بهم من الخطة بشجاعة واستبسال شديدين..

وقد حاول العمالقة بيأس صد الهجمات المتتالية عليهم بلا فائدة..

واصطدم الفولاذ بالفولاذ وسالت الدماء..

وتناثرت أجساد القتلى مُحترقة في كل مكان..

\*\*\*

وصلت الدفعة الأولى من مقاتلي (المعاطف السوداء) بقيادة خالد إلى مقر قيادة المقاومة بالإضافة إلى شديد وحسان ورفاقهما، وفي أثرهم كان قائد

المعاطف السوداء بدوره يدخل من بوابة المُستعمرة  
بسيارته المُدرعة..

بمجرد استقرار مقاتلي المعاطف السوداء في ساحة  
التدريبات هرع شديد وحسان ومعهم خالد وقائد  
المعاطف السوداء، إلى المبنى الذي يضم مقر زعيم  
المُقاومة..

قوبل الرجال بالترحيب الحار من جميع من في المبنى  
حتى وصلوا إلى غرفة القائد، ليطلب شديد الإذن  
بالدخول هو ومن معه من قائده الذي يسمح له  
بالدخول هو ورفقته، ليجدوا قائد المقاومة جالسًا  
وبجواره الشيخ فاضل، ورجل آخر لا يعرفونه، في  
أواخر العقد الرابع من عمره، حاد النظرات، متوسط  
الطول ونحيف الجسد، أشيب الفودين، في حين  
تقترب مُقدمة رأسه من الصلع، يرتدي زيًا عسكريًا  
مُموهًا..

رحب بهم زعيم المقاومة والشيخ فاضل في حين  
تعلقت أبصارهم بالرجل الغريب الجالس مع زعيم

المقاومة كنديم وصديق قديم، تجاهل القائد نظرات رجاله ولم يعرف عن ضيفه، لكن الرجل لاحظ نظراتهم فقال بصوت رفيع حاد مُعرفًا عن شخصه لمن لا يعرفه:

- أنا قائد فرقة الذئاب، وقد جئت إلى هنا بدعوة مُباشرة من قائدكم.

أنهى عبارته وهو يدقق في أزياء زعيم المعاطف السوداء ورجله خالد، فهي تشي بهويتها على الأقل فلم يحتاجا للتعريف عن أنفسهما..

وفي محاولة منه لتقليل حدة التوتر، ورغبة منه في وأد أي صراع كلامي مُحتمل، دعاهم زعيم المقاومة للجلوس قائلًا بصوت ينم عن خطورة الوضع:

- أيها السادة الكرام، أنا سعيد بتشريفكم لي بحضوركم، ونأسف جميعًا لأن يكون أول اجتماع لنا بسبب تلك الظروف الصعبة التي تعيشها البلاد، باختصار شديد، ما نشهده اليوم لم نشهده منذ تأسيس المقاومة

المصرية، فنحن نواجه تمردًا خسرننا بسببه تقريبًا ٣٠% من مواردنا، أما الطامة الكبرى وما زاد الأمر سوءًا، هو إعلان احدي المُستعمرات التابعة لنا والتي لا تبعد عني أكثر من تسعة كيلومترات التمرد المُسلح علينا..

نهض من على مقعده وضغط زرًا صغيرًا في الحائط فتكونت ما يشبه الشاشة الهولوجرامية عليه أخذت تعرض صورًا لتلك المستعمرة، تابع والشاشة ما زالت مستمرة في عرض الصور المختلفة للمستعمرة من عدة اتجاهات:

- مُستعمرة المرصد الفضائي سميت بذلك الاسم لأنها بُنيت بالقرب من مرصد فضائي قديم تابع للحكومة المصرية السابقة، قائد تلك المُستعمرة أرسل لنا رسالة صباح اليوم محتواها انهم من الآن لن يتبعوا قيادة المقاومة وانهم مستقلون عنا، ولا يحق لنا مطالبتهم بأي موارد أو ذخيرة أو مقاتلين، ثم أعادوا بث رسالتهم مرة أخرى، لتصل إلى جميع الفصائل والمُستعمرات التي حولنا وأعتقد أنها قد وصلت إليكم أيضًا.

أوما زعيم المعاطف السوداء برأسه فتابع:

- استطلاعاتنا تُشير أيضًا إلى أن قائد تلك المستعمرة قد وزع جميع محتويات مستودعات سلاحه على كل سكان مستعمرته من المدنيين نساء وشيوخ وحتى الأطفال أيضًا، مع تحسين تسليح رجاله الذي نقدر عددهم بنحو مئتي رجل مُدربين ومسلحين جيدًا، بالإضافة إلى تحصين وتقوية دفاعاته وأسواره القوية بالأصل.

أطفأ الجهاز ثم عاد إلى مقعده وهو يقول بنبرة كئيبة:

- تلك المستعمرة كبيرة من حيث الحجم ومن حيث عدد قاطنيها، ولنضف على ذلك قوة أسوارها، وتسليح كل من فيها، سنجد جيشًا كبيرًا مُدافعًا عنها..

صمت لحظات ليري أثر كلماته على وجوههم وعاد يقول:

- أما أكبر عقبة أراها من وجهة نظري فهي وجود نساء وأطفال مجبرين على القتال في صفوف هؤلاء

المُتمردين.

انتهى زعيم المقاومة من حديثه وخيم الصمت على الجالسين، كانت نظرات قائد المعاطف السوداء تسدد طعنات ماضية إلى قائد الذئاب، حتى انفجر الأول صائحًا بحدة:

- هناك سؤال يراودني حاليًا..

صمت للحظات وبصره مُعلقًا بقائد الذئاب ثم عاد يقول:

- ما الذي يدفع الذئاب إلى ترك سواحلهم التي لا يغادرونها أبدًا، والمجيء إلى هنا للمشاركة مع المقاومة في إخماد شُعلة تمرد لن تضرهم أبدًا، بل حتى أنها لن تصل إلى معقلهم قط؟!

نظر له زعيم المقاومة بنظرة لوم وعتاب واجم في حين اكتفي الذئب بالابتسام وهو يقول بصوت هادئ وواثق:

- البلاد في أمس الحاجة إلينا الآن، كلنا له واجب، وكلنا مجبرون على تأديته، أردت أم لم ترد، المقاومة تمر الآن بأصعب وأحرج فتراتهما، الاحتلال في ذروة نشاطه، يقوم بدوريات لا تنقطع، وهناك مشاهدات من مختلف أنحاء البلاد أتت بأنباء عن محاولة استخدام العدو لتكنولوجيتنا العسكرية وعتادنا من دبابات وطائرات وصواريخ، لكن التمرد يا صديقي أمر مختلف تمامًا؛ فاذا تمردت مستعمرة ما وتركنا الأمر يمر مرور الكرام دون عقاب أهلها أو قائدها سيشجع هذا الكثير من قادة المستعمرات الأخرى على التمرد والاستقلال، كل منهم بما تحت يديه من موارد نحن في أمس الحاجة إليها، المقاومة كيان كبير ونحن جزء صغير من هذا الكيان..

انتهى حديثه فأمن عليه الشيخ فاضل وأثنى عليه وقال:

- وجود المعاطف السوداء والذئاب في صف المقاومة سيوصل رسالة إلى جميع المستعمرات بأن المقاومة



مازالت قوية و متماسكة ولن ينجح أحد في تمزيق وحدة صفها.

عند هذه النقطة نهض زعيم المقاومة وهو يقول:

- سينتهي الحديث هنا يا رفاق، فلنسترح جميعًا لبعض الوقت ثم نَعُدْ لنناقش خطتنا لمواجهة هذا التمرد، فما زال أمامنا الكثير لننجزه.

ثم صمت للحظات مُحاولًا ايجاد الكلمات المُناسبة وعاد يقول:

- الآن بهذه الغرفة يتواجد أهم وأقوى الرجال في مصر كلها.

نظر الجميع إلى قائدي المعاطف السوداء والذئاب ثم عادوا بنظرهم إلى زعيم المقاومة الذي قال:

- هذه الأيام التي نعيشها الآن، ستحدد مصير الأجيال التالية من البشرية، فنحن نستعد لنصنع سلاحًا ستكون له كلمة الفصل في تحرير أرضنا واستعادة

سيطرتنا عليها، سنكون يدًا واحدة لجسد واحد عملاق قوي، سننهض جميعًا أو نموت

رد عليه زعيم المعاطف السوداء:

- إن كان ما سنفعله أيًا كان سيضع نهاية لذلك الوباء، فالمعاطف السوداء قلبًا وقلبًا معكم، كالعادة.

اكتفى قائد فرقة الذئاب بإيمائه موافقة من رأسه فعاد القائد يقول:

- إذًا، عند اكتمال حشد رجالنا، سنجلس معًا لمناقشة خطتنا لإخضاع هذا التمرد.

\*\*\*

بعد عدة ساعات من اللقاء الأول وعند اكتمال وصول مقاتلي المعاطف السوداء والذئاب بدأ اجتماع قادة المقاومة والمستعمرات الخاضعة لها.

كان الحكيم فاضل وزعيم المقاومة أول الحضور تلاهم زعيم المعاطف السوداء، الذي جلس بجوار

زعيم المقاومة حول الطاولة الدائرية الكبيرة التي  
جلسوا حولها..

قال الأخير:

- من يَرَك منذ عشر سنوات ماضية أو أكثر فلن يصدق  
أنك هذا الرجل البدين الآن، كيف وصلت إلى تلك  
الحال يا مازن.. عرفتكَ مقاتلاً شجاعاً ذا بأسٍ شديد،  
هل عندما يفقد المرء إحدى عينيه يفقد شغف مواصلة  
القتال؟

زفر مازن زعيم المعاطف السوداء في حرارة وهو  
يقول:

- لم أفقد قط شغفي للقتال يا صديقي أمجد، ولو  
لحظة واحدة حتى.

ثم اشار إلى رأسه وهو يقول:

- ذلك الرأس، هو الذي جعل المعاطف السوداء أقوى  
مما كانت عليه في السابق، هذا الرأس هو ما جعلني

زعيم المعاطف السوداء، فالرجل لا يقاتل فقط بيديه،  
الرجل يقاتل بعقله وبقلبه ولسانه.

نظر إلى الحكيم فاضل وقال له بلهجة ذات مغزى:

- ما رأيك في هذا يا صديقي القديم؟

ثم ابتسم وضحك فاضل ضحكة قصيرة وهو يقول:

- كلامك صحيح يا صديقي العزيز.

دخل صدام زعيم الذئاب من باب الغرفة وهو ينظر  
لثلاثتهم قائلاً:

- لم نجتمع معًا منذ سنين طويلة يا رفاق، لم نتغير  
كثيرًا، فقط كل ما تغير أن مازن أصبح سمينًا، وأصبح  
كذلك أول قائد للمعاطف السوداء من خارجها، قل لي  
يا صديقي، ألم يحن الوقت للاعتراف بحقيقة  
المعاطف السوداء؟

ابتسم مازن بفتور وهو يقول:

- حتى ولو كنت أعرف، لا أستطيع القول، لدينا نظام يجب على الحفاظ عليه.

جلس صدام بجوار مازن وهو يربت على ظهره بمرح قائلاً:

- أمزح معك فقط يا صديقي، لقد اشتقت لأيامنا الخوالي

رد عليه أمجد زعيم المقاومة:

- العقيد صدام زعيم الذئاب، الشخص الذي انتزع قيادة الذئاب بسلاحه، وحرر نصف الإسكندرية.

قال صدام بفخر:

- سمعتي تسبقني دائماً، يا أصدقاء.

قاطع حديثهم دخول شديد ثم خالد ثم قادة بعض المجموعات القتالية الأخرى التابعة للمقاومة.

عندما اطمأن أمجد إلى تواجد الجميع نهض من مقعده وهو يضغط زرًا صغيرًا أمامه على الاجتماعات لتتكون صورة هولوجرامية في منتصف الطاولة بالضبط لمستعمرة (المرصد الفضائي) تنحنح ثم بدأ الحديث:

- ما ترونه أمامكم هي مستعمرة (المرصد الفضائي) المتمرّدة، بنتها حكومة ما قبل الاحتلال كمجمع سكني لموظفي إحدى الوزارات التي انتقل مقرها إلى العاصمة الجديدة، وسميت بهذا الاسم نظرًا لقربها الشديد من المرصد الفضائي الجديد الذي يوجد أساس بنيانه على بُعد خمسمئة متر من بوابة المُستعمرة الرئيسية، بالمناسبة يمكن أن نتخذ هذا الموقع كنقطة تجمع وانطلاق لقواتنا المُهاجمة.

كانت الشاشة تعرض وقتها صور لسور المستعمرة الخارجي وبعض مبانيها الداخلية..

عاد أمجد يتابع حديثه قائلاً:

- كما ترون المستعمرة مُحاطة بسورٍ عالٍ يتم تقويته  
بينما نحن نتحدث الآن بالإضافة إلى أبراج القنص  
التي بنيت في كل ركن من أركان السور الأربعة، إذا  
اتخذنا موقع بناء المرصد كنقطة لنا سيفصل بيننا  
وبين سور المُستعمرة خمسمئة متر، على المُهاجمين ان  
يركضوا في تلك المساحة وهم بلا تغطية وسيكونون  
عرضة لنيران بُرجي حراسة من الثمانية.

عند هذه النقطة تدخل صدام قائد الذئاب في الحديث  
قائلًا:

- كم عدد الرجال الذين لديهم؟ وما تسليحهم؟

رد أمجد على الفور وهو يعبث ببعض الأوراق التي  
أمامه:

- آخر إحصاء لدينا لسكان تلك المستعمرة يقول إن  
عددهم يقترب من الألف ربعم على الأقل إما شيوخ  
أو أطفال لا يصلحون للقتال، تسليح المُقاتلين التابعين

لتلك المُستعمرة سيكون عبارة عن بنادق وأسلحة خفيفة ومتوسطة والعشرات من القواذف الأربي جي.

قال مازن زعيم المعاطف السوداء:

- يمكننا تدبير ضعف هذا العدد بسهولة كلاً منا تحت يده أكثر من ألف رجل مُدرب جيداً ومُسلحاً، لكن الشيء المُهم والذي سيصعب من مهمتنا كثيراً هو سور تلك المُستعمرة، فهو قوي وعالٍ، وبينما يحاول رجالنا تسلقه أو صنع ثغرة فيه أو محاولة تحطيم بوابته، ستكون الخسائر لدينا فادحة، فالمنطقة مكشوفة للمُدافعين، ولا نستطيع تراشق النيران معهم بدون تغطية..

أضاف أحد قادة المجموعات القتالية موجهاً الحديث إلى أمجد:

- وكما ذكرت يا حضرة القائد لا يوجد سوى موقع المرصد الفضائي الذي يوجد أمام بوابة تلك المُستعمرة



ربما يمكننا التمرکز فيه ومحاصرة تلك المُستعمرة وقتل كل من يخرج من بوابتها.

رد أمجد:

- فكرة الحصار ستكلفنا وقتًا كثيرًا للغاية وعدم وأد هذا التمرد في بدايته سيشجع الكثيرين على الانضمام إليه، ثم ما أدراك أن قائد تلك المُستعمرة لم يستعد لهذا الاحتمال بالفعل

قال صدام قائد الذئاب بلهجة لا مبالية:

- فقط اصنعوا لي ثغرة في هذا الجدار واتركوا باقي الأمر لي أنا وذئابي وسنعيد تلك المستعمرة إلى حظيرة المقاومة في ظرف نصف ساعة فقط.

قال شديد:

- فلنطلب من قادة كل المستعمرات إرسال كافة المتفجرات التي لديهم وبهذه الطريقة سنضمن امتلاكنا لكمية كبيرة من المتفجرات تكفي لتدمير سور

تلك المستعمرة، وليس فقط لصنع ثغرة فيه تكفي  
لمرور عدد قليل من الرجال

قال خالد:

- هذه الخطة ستكلفنا مزيدًا من الوقت الذي لا نملكه  
حاليًا للأسف.

وافقه الحكيم فاضل قائلاً:

- يجب إنهاء تمرد تلك المستعمرة في أقرب وقت،  
يجب أن نفرغ سريعًا إلى هدفنا الرئيسي.

أضاف صدام:

- ثم إن إمكانية زرع متفجرات عند احدي نقاط السور  
ستكون مخاطرة لأي قوات تتقدم لفعل هذا، لأنها  
ستكون مكشوفة وبلا حماية أو دعم.

سأله مازن بلهجة حادة:

- ماذا عن الذئاب؟

قال صدام بنفس اللهجة:

- ماذا عنهم؟

أجابه بسرعة:

- لديكم دبابات ومدروعات ستحل لنا هذه المشكلة.

زفر صدام وهو يقول بغضب:

- أغلب الدبابات والمدروعات التي لدينا وقودها لا يكفي للسفر خارج الإسكندرية، ولا تتوفر لدينا ناقلة دبابات أو مدروعات نستطيع بواسطتها نقل الآليات إلى القاهرة..

ثم عم الصمت للحظات إلى أن عاد صدام ليقول:

- ألا يوجد لديكم هنا أي صواريخ مضادة للدروع مثلًا؟  
أعتقد أن عددًا كافيًا من تلك القذائف يستطيع صنع ثغرة معقولة في السور تكفي لتدفق قواتنا إلى داخل تلك المُستعمرة

رد شديد هذه المرة:

- ليس لدينا هذا النوع من الأسلحة للأسف الشديد، ثم إن سور تلك المُستعمرة مقوي بنحو ثلاثين سنتيمترًا من الفولاذ والدروع التفاعلية، أي إنك تحتاج إلى أكثر من عشرة قذائف خارقة للدروع كي تستطيع أن تصنع ثغرة بسيطة في السور، لقد كان أملنا كبيرًا في سلاح المدرعات الخاص بكم.

قال صدام وقد بدا التوتر جليًا في صوته:

- الأمر ليس كما تظنون أيها السادة؛ لقد بدأ الاحتلال - على غير العادة - في تسيير دوريات راجلة بالقرب من حدودنا، مما جعل إخراج مدرعاتنا إلى الطُّرقات أمر محفوف بالمخاطر..

أضاف خالد:

- وهذا ما يقلقني أيضًا، عند حدود أطلال القاهرة القديمة معقلنا، شاهد حُراسنا العديد من دوريات الاحتلال على حدودنا، ونعتقد أن العدو يعد لأمر ما.

قال شديد بغلظة:

- لسنا هنا لمناقشة ما يقلقكم يا سادة.

ساد الهرج والمرج للحظات إلى أن ارتفع صوت أمجد يقول:

- هدوء أيها القادة.

هدأت الأصوات كما ارتفعت فجأة احترامًا لكلمة قائد المقاومة الذي تابع كلامه قائلاً:

- المقاومة لديها حل لتلك المعضلة..

ثم أشار إلى أحد حراسه الواقفين خلفه باستمرار فتحرك الحارس محنيًا رأسه في احترام إلى خارج القاعة وعاد بعد دقائق قصيرة تبادل فيها الحضور بعض الهمسات والأحاديث الجانبية ومعه العالم حسان بهيئته المريبة وشعره المبعثر وهو يتسم ابتسامته المرتبكة دائمًا وهو يحمل حقيبة صغيرة موصل بها العديد من الأسلاك وتحمل قبة شفافة يظهر من خلالها

عدة توصيلات وأسلاك وأشياء أخرى غريبة الشكل، وتنتهي تلك القبة بماسورة مدببة يوجد في نهايتها هوائي صغير.

نهض أمجد وهو يقول لقادته:

- أيها السادة، أمامكم الآن أحد أحدث أسلحة المقاومة وأهمها على الإطلاق.

ساد الصمت المشوب بالتوتر والترقب بينما أشار هو إلى حسان بأن يتكلم، فتنحى الأخير وهو يقول:

- هذا الجهاز الذي تروه الآن هو عبارة عن سلاح يقوم بإطلاق موجة فوتونية هائلة مُستمدة من طاقة الشمس، تلك الطاقة تُطلق على شكل دفقة واحدة غير مرئية ولكنها شديدة التدمير، حيث إنها قادرة على تفتيت جبل كامل في غضون ثلاث دقائق لا أكثر.

تجلى الانبهار في عيون البعض وتبادل صدام ومازن نظرة لم تدم سوى للحظات لكنها لم تخف عن أمجد

بينما ظل خالد على جموده غير مبالي بما يقال أمامه  
وتابع حسان حديثه:

- يمكننا نصب هذا الجهاز على بعد ثلاثة كيلومترات  
من المكان المراد مهاجمته، ومن ثم لن نحتاج إلى  
الاقتراب كثيرًا بدون غطاء من سور مستعمرة  
المتمردين، من بعيد سنقدر على صنع ثغرة تمكن  
قواتنا من المرور عبرها.

قال صدام بتوتر:

- وماذا إن لم يعمل هذا الجهاز لأي سبب من الأسباب؟  
رد حسان:

- أراهن بحياتي أن الجهاز سيعمل بكفاءة شديدة ولكن  
إن لم يعمل الجهاز ف..

هنا تدخل أمجد في الحديث مُقاطِعًا إياهم قائلاً:

- لا تقلق يا صديقي، الجهاز سيعمل على أكمل وجه، وإن حدث مكروه ولم يعمل الجهاز، فسنسحب قواتنا مؤقتًا إلى نقطة التجمع لحين استقرارنا على الخطة البديلة، ولكن دعنا لا نستبق الأحداث ولتناقش خطتنا الأساسية.

ثم أشار إلى صورة المستعمرة المُستقرة في هواء الغرفة وهو يقول:

- الذئاب سيكون معهم الجهاز سيصنعون به ثغرة في السور ثم يتقدمون بكامل سرعتهم باتجاه تلك الثغرة لاختراق المستعمرة من الناحية الشرقية.. في حين تتقدم قوة من المعاطف السوداء باتجاه السور من الناحية الغربية لتشتت المدافعين عن السور ولتخفيف الضغط عن الذئاب، بينما تتقدم قوة الهجوم الرئيسي باتجاه بوابة المُستعمرة.

سادت لحظات من الصمت قطعها صدام مُغمغمًا:



- أعتقد أنها خطة جيدة، ستقوم الذئاب فيها بدورها على أكمل وجه.

رد مازن:

- الهجوم من ثلاث محاور لتشتيت المدافعين، أعتقد أن هذا أفضل ما لدينا حاليًا.

تعالَت الأصوات المؤيدة فارتفع صوت أمجد وهو يقول:

- إذن فلنستعد يا رفاق، فلدينا معركة لنخوضها.

\*\*\*

قبل شروق الشمس بعدة ساعات خرج أكثر من أربعة مئة مقاتل عبر بوابة المستعمرة التي يقع فيها مقر قيادة المقاومة على دفعات متتالية البعض كان يركب سيارات نقل أو أتوبيسات صغيرة مُدرعة بقطع من الحديد والصاج بطريقة يدوية ولكنها مُحترفة أما

أغلب هؤلاء الخمسمئة فكانوا يسرون على أقدامهم في صفوف مُنظمة كتشكيل عسكري مُحترف..

بمجرد وصولهم إلى نقطة الصفر التي تبعد عن أسوار المُستعمرة مسافة خمسمئة متر فقط والظلام يخيم عليهم ويعطيهم غطاء طبيعي يبعد أنظار الأعداء عنهم أو أن هذا ما يأملوه..

شرع القناصة في نصب بنادقهم طويلة المدى لاستهداف الحراس في أبراجهم الدفاعية الطويلة، وعلى الجانب الآخر من السور بدأ الذئاب في نصب الجهاز الذي سيستخدم لصنع ثغرة في سور المُستعمرة..

وقف صدام بزيه المُموه رافعًا بندقيته الآلية مواجهًا لرجالهِ مُحفزًا إياهم:

- هذه أول مرة نقاتل فيها خارج مدينتنا يا رجال، الجميع سيرانا، الجميع مُنتظر منا فعل المُستحيل، سنريهم اليوم كيف يكون القتال الحق.

تعالّت صيحات رجاله بينما أشار هو إلى أحد رجاله  
قائلاً:

- الآن خذ مجموعتك واركض بأقصى سرعة باتجاه  
السور، تحرروا من كل ما قد يثقل حركتكم.

نفذ الرجل أوامر زعيمه بدون نقاش وبدأ في الركض  
هو وخمسون رجل باتجاه السور.. ظل صدام يتابعهم  
عن طريق منظار مقرب في يده اليمنى وفي اليد  
الأخرى يحمل جهاز اتصال لاسلكي رفعه إلى فمه وهو  
يقول:

- الآن.

بمجرد إشارته ضرب القناصة حراس الأبراج وأصدر  
شديد الذي كان يقود مجموعة الهجوم الرئيسية أمر  
الهجوم على المستعمرة..

بينما ضغط أحد رجال صدام زر تشغيل الجهاز بناءً  
على أمر صدام.

أصدر الجهاز أزيز خافت ثم بدأ يعلو تدريجيًا والجهاز يهتز وتخرج منه أبخرة سوداء كثيفة ثم توقف عن العمل تمامًا في نفس اللحظة التي سمع الجميع صوت ضجة عالية تأتي من اتجاه المُستعمرة

نظر صدام عبر منظاره ليجد السور المقابل له قد تحول إلى حطام ورأى عددًا من رجاله قد سقطوا قتلى والآخرين يشتبكون مع المتمردين الذين يدافعون عن سور المُستعمرة بينما نجح عدد ليس بقليل من اقتحام الثغرة بالفعل..

رفع سلاحه ثم بدأ يركض وهو يقول:

- إليّ أيها الذئاب.

وتقدمهم في شجاعة يُحسد عليها، وأخذوا في التقدم قاصدين الثغرة وبدأ الرصاص يتطاير من حولهم، بينما نجح من تبقى من رجاله الخمسين في الدخول إلى المُستعمرة..

على الجانب الآخر من السور وبسبب عدم وجود غطاء كافٍ كانت الأولوية للمُدافعين.

وبالفعل سقط عدد كبير من رجال المقاومة والمعاطف السوداء لكن هذا لم يفت في عضد شديد ورجاله الذين أخذوا يركضون وهم يتبادلون إطلاق النيران مع المتمردين حتى يصلوا إلى بوابة المستعمرة ليقتموها..

لكن النيران المنهمرة عليهم من كل اتجاه تقل بسبب اجلاء اغلب المدافعين عن البوابة إلى الثغرة التي حدثت بالسور..

فنجح أغلبهم في الوصول إلى بوابة المستعمرة وانقسموا إلى قسمين، قسم يقوم بإشغال المدافعين وقسم يقوم بمحاولة تحطيم البوابة الثقيلة والقوية بواسطة مدكات خشبية ثقيلة..

كانت الأمور تسير في صالح رجال المقاومة ولكن ببطء..

علم شديد في قرارة نفسه وهو يتراشق بالنيران مع  
 المُتمردين الذين يدافعون عن الأسوار بأنه إن لم ينجح  
 هو ورجاله في الدخول إلى تلك المُستعمرة فإنهم  
 سيُبادون تمامًا.

\*\*\*

كانت مجموعة خالد من المعاطف السوداء المكونة من  
 ثمانين رجلًا لها هدف انتحاري ألا وهو محاولة تسلق  
 السور الذي يتجاوز ارتفاعه العشرة أمتار وسط تبادل  
 إطلاق نار عنيف وكثيف..

سقط نصف رجال خالد في موجة الهجوم الأولى حتى  
 بدون أن يستطيعوا من وضع معداتهم المخصصة  
 لتسلق السور.

أدرك خالد أن الأمر لا يسير لمصلحته هو ورجاله، أصم  
 أذنيه صوت انهيار السور ففرح لذلك وظن أن ضغط  
 القتال سيخف عليهم ولو قليلًا لأن المدافعين  
 سيتجهون لسد الثغرة..

لكن ما حصل هو النقيض تمامًا فقد ازدادت كثافة النيران المنهمرة عليه وعلى رجاله من أعلى فسقط من مجموعته عشرون مقاتل دفعة واحدة..

لم يفقد خالد رباطة جأشه وتصرف كما دُرب، فصاح أمرًا بأعلى صوته والرصاص ينهمر من حوله وكادت إحدى الرصاصات الطائشة أن تُصيب رأسه:

- لننقسم إلى فريقين، فريق يذهب إلى الثغرة بجوار الذئاب وفريق آخر ينضم إلى مقاتلي المقاومة عند البوابة.

انقسم رجاله بالفعل إلى فرقتين مما شتت المدافعين قليلًا، وأعطى فرصة لرجال المعاطف السوداء من إخلاء تلك المنطقة من السور..

تدفقت الذئاب إلى داخل المستعمرة عبر الثغرة ووجدوا أمامهم العشرات من سكان المستعمرة، أطلقوا النيران على الكل بدون استثناء مُسلحين كانوا أم لا..

العشرات من النساء والأطفال سقطوا بنيران الذئاب  
الذين تحركوا بنظام ودقة شديدين..

واستطاعوا الوصول إلى مُنتصف المُستعمرة دون أن  
تنجح دفاعات المُتمردين في صدّهم أو حتى  
اعاققتهم..

تنهد إيمحوتب بينما ربت الكاهن الأكبر على كتفه وهو  
يقول:

- هون عليك يا صديقي..

انتفض إيمحوتب مفزوعًا فأبعد الكاهن يده سريعًا  
وهو ينظر له مشفقًا ثم قال:

- أراك متغيرًا، بياض عينيك أصبح أحمر كالدم، بشرتك  
أصبحت شاحبة وخطواتك بطيئة.. هل ألم بك مرضًا  
أو تعبًا ما؟

تعهد إيمحوتب الاشاحة بنظره بعيدًا عن كبير كهنة  
المصريين القدماء وهو يقول:



- لا يوجد بي شيء يا صديقي، كل ما في الأمر أنني مرهق.

ثم حاول تغيير دفة الحديث فقال:

- هذا الكيان الذي قد وقف امامهم من قبل، أنا لديّ طريقة استعادته مره أخرى إلى أرضنا.

اتسعت عينا الكاهن الأكبر وهو يقول بجزع:

- ولكن هذا كيان أسود وقوي ولا يمكن لأي أحد السيطرة عليه.

هز إيمحوتب رأسه يمينًا ويسارًا، وهو يقول بضعف ووهن واضح على صوته:

- صدقني، هذه هي الطريقة الوحيدة، سأسجل طريقة إحضار هذا الكيان في بردية وسأقوم بنسخها لأخذ نسخة إلى أطلانتس الأم بينما سأودعك النسخة الأخرى هنا.

ارتجف صوت الكاهن وهو يقول:

- هل تعتقد أننا سنستخدمها في يوم ما؟

أمسك إيمحوتب يد الكاهن في قوة أفزعت هذا الأخير والأول يقول:

- اسمعني جيدًا، أنا أعني ما أقوله جيدًا، إنهم سيعودون في أي وقت..

بدا الإنزعاج على وجه الكاهن فتابع إيمحوتب قائلاً:

- البردية سيكون بها طريقة إحضار هذا الكيان وجيوشه إلى عالمنا لمحاربة العمالقة إن عادوا، وسيكون بها أيضا طريقة صنع سلاح يقضي فقط على الطفيليات المحتلة لأجساد البشر إن عادوا بدون العمالقة..

نطق الشطر الأخير بصوت مرتجف مبحوح وكأنه يحارب كي يتكلم..

لم يرد عليه الكاهن الأكبر واكتفى بنظرات متعجبة في حين أكمل إيمحوتب:

- اتركني الآن كي أستريح..

ظل الكاهن على صمته وهو يغادر الغرفة في حين تجمدت نظرات إيمحوتب وأخذ يكتب في البردية بطريقة آلية بحتة.. هو يعلم أنه مسيطر عليه، هو يعلم أنه الآن بخط يده، يحطم آخر أمل لدى البشر، لقد أطبق عليه الفخ، ولا يستطيع الفكك منه، بيده التي تتحرك بدون إرادة منه، ستسيل دماء البشر أنهارًا، وسيلعن في التاريخ إلى الأبد...

\*\*\*

تحطمت بوابة مستعمرة (المرصد الفضائي) المتمردة تحت ضربات المدكات الثقيلة وتدفق عبرها رجال المقاومة والمعاطف السوداء بقيادة شديد وخالد الذي نجح بالوصول إلى قوات المقاومة الرئيسية عند بوابة المستعمرة.

ذهل شديد وتملك الغضب منه من كمية القتلى من النساء والأطفال ولكنه لم يملك شيئاً يفعله إزاء هذا الأمر ليفرغ غضبه سوى الضغط على زناد سلاحه وقتل المزيد من مقاتلي التمرد..

شق شديد وخالد طريقهما عبر شوارع المُستعمرة حتى التقيا بصدام ورجاله الذين كانوا يحاصرون أحد المباني المكون من ثلاثة طوابق ويطلقون عليه النار بكثافة شديدة ومن بداخل المبنى ومن على سطحه أيضاً يبادلوهم إطلاق النيران بعنف وشدة..

خلف أحد المتاريس الحديدية الموضوعة لحماية هذا المبنى، احتذى كل من صدام وشديد وخالد..

قال الأول بصوت مرتفع مُحاولاً التغطية على صوت الرصاص من حولهم:

- فلول المتمردين دخلوا هذا المبنى، نعتقد أن قائد المستعمرة هنا، إنهم يدافعون عن هذا المبنى بشراسة شديدة.

كانت الطلقات تنهمر عليهم من مختلف العيارات بشدة بالفعل، وسقط العديد من رجال حلف المقاومة صرعى جراء إطلاق النار المجنون والمستمر الذي يقوم به من تبقى من مقاتلي المستعمرة المتمردة

سأل شديد:

- أين بقية سكان المستعمرة؟

أجاب صدام:

- الكثير منهم قد قتلوا، الباقون قد استسلموا، وهم الآن تحت حراسة فريق من رجالي.

عاد شديد يقول بتوتر:

- ماذا سنفعل الآن، إنهم يدافعون عن ذلك المبنى بشراسة هل نحاصره أم...

قاطع صدام بنبرة ساخرة:

- سنفعل ما نحن معتادون على فعله أيها الفتى الضخم..

ونفض فجأة من مرقدّه وأطلق دفعات متتالية من الرصاص باتجاه المبنى وهو يصيح برجاله:

- إلى أيها الذئب.

وتقدم بشجاعة وحده باتجاه مدخل المبنى وهو يطلق النيران بغزارة شديدة بدون ذرة تفكير أو تردد ليتبعه بقية رجاله بعد لحظات قليلة ليشتبكوا مع المتمردين مسقطين منهم أعدادًا كثيرة، ونجحوا في السيطرة على مدخل المبنى وتأمينه، ليتبعهم شديد وخالد وما تبقى من رجالهما

خاضوا قتالًا مريبًا من غرفة إلى غرفة ومن طابق إلى طابق حتى نجحوا بعد ساعتين من تطهير الطوابق الثلاثة كلها عدا غرفة واحدة تقبع في الطابق الأخير من ذلك المبنى.

ساد الصمت وتوقف إطلاق النار عند وصولهم إلى تلك الغرفة، وقد علموا أن تلك الغرفة هي المنشودة.

تقدم شديد باتجاه باب الغرفة بحذر وهو يصيح:

- يا من بالداخل، لقد سقطت المستعمرة في أيدي مقاتلي المقاومة، لقد سقط أغلبكم، واستسلم البعض ولم نمسهم بأي سوء فأخذوا حذوهم وألقوا أسلحتكم وستعفو عنكم المقاومة.

لم يرد عليه أحد سوى شخص واحد فقط قال له بسخرية مريرة:

- فلتذهب أنت ومقاومتك ومن استسلم لك للجحيم، سنموت قبل أن نلقي أسلحتنا.

قال خالد:

- حسنًا، فلتتركوا هذا الاقتحام للمعاطف السوداء..

ابتعد صدام مفسحًا له الطريق مشيرًا لرجاله بأن يفعلوا المثل وقال بطريقته الساخرة:

- على الرحب والسعة يا رفاق أنتم لم تنالوا قسطكم من القتال اليوم، لعل اقتحام تلك الغرفة يكون كافيًا.

تجاهله خالد الذي التفت إلى شديد وهو يقول:

- الغرفة ضيقة، وبها عدد كبير من الأفراد، لا أستطيع جلبهم إليك على قيد الحياة.

- إنهم مجموعة من المتمردين، وبسببهم سالت أنهار من الدماء، لا أعتقد أن الإبقاء على حياتهم سيشكل أي فارق لدينا، في كل الأحوال هم أموات.

أوماً خالد برأسه ثم اشار إلى سبعة من رجاله وهو تامنهم وقال لهم:

- سندخل تلك الغرفة يا رجال وسنقوم بتطهيرها، لن نأخذ أسري، ولن نعتني بالجرحي.



ثم تقدم باتجاه الباب وركله ركله قوية انخلع على أثرها الباب ودخل هو ورجاله، أطلقوا النار بكثافة على كل من بالغرفة، روائح الدخان والبارود، والدم تتصاعد من داخل الغرفة.

عم السكون للحظات خُيل لجميع من في الطابق أن الكون بأكمله قد أُصيب بالخرس، أو بأحد الرصاصات الطائشة..

تقدم صدام وشديد ليجدا اثنين من رجال خالد قد قتلوا وأصيب خالد أيضًا برصاصه في كتفه ولكنه كان واقفًا وكان شيئًا لم يمسه.

تناثرت محتويات الغرفة وتبعثرت في كل مكان ولوثت بقع الدماء وثقوب الرصاصات جدرانها، وجثث المتمردين تفترش الأرض في كل اتجاه، كانوا جميعًا أمواتًا فلم يكلفوا أنفسهم عناء البحث عن أحياء وسط الأجساد التي تفترش الأرض وتسيل منها الدماء، كان هذا انتقامهم وقد رضوا به جميعًا..

هموا بالخروج من الغرفة إلا أنهم سمعوا صوت تأوه مكتومًا يأتي من أحد الأجساد الملقاة أرضًا.

فقال صدام ساخرًا:

- ما هذا يا رجل المعاطف السوداء، ألم تقل لرجالك لا أسرى ولا جرحى؟!!

صر خالد على أسنانه من الغيظ وهو يتوجه إلى هذا الشخص المصاب ليتفحصه، كان مصاب بشظية في جبهته جعلت الدم يغرق وجهه ويخفي ملامحه تمامًا.. كذلك كان هناك ثقب في ملابسه أعلى القلب بقليل..

اتسعت عينا هذا الرجل وهو يحدق في ملابس خالد السوداء قائلاً بذهول وخوف:

- المعاطف السوداء؟!!

رفع صدام أصبعه وهو يقول ساخرًا:

- والذئاب حاضرة أيضًا يا صديقي.

حاول الرجل النهوض ورفع رأسه ليلقي نظرة على  
صدام ولكنه سعل وبصق دمًا ثم قال بعد أن هدا  
سعاله قليلًا:

- أنا قائد هذه المُستعمرة.

حاول شديد الانقراض عليه لكن خالد منعه والأول  
يصرخ بثورة:

- أيها الخائن، لقد أريقت بسببك أنهارًا من الدماء، نساء  
وأطفال قتلوا دفاعًا عنك وعن أسوارك أيها الخائن.

قال المتمرد بوهن والدماء تسيل في خيط رفيع من  
ركن فمه:

- من منا الخائن؟ المقاومة التي كفت عن المقاومة أم  
أنا، من أردت جعل موارد مُستعمرتي لمُستعمرتي  
ولقومي فقط، افتح عينيك واستيقظ، الخائن هو من

ترك قتال الاحتلال منذ سنوات، الخائن هو من يريد احتكار الموارد ومُسببات الحياة.

أخذ شديد يرغي ويزبد وخالد يمسكه بقبضه حديدية حتى لا يتهور، طالما أن القدر أراد الإبقاء على حياة هذا المتمرد، فليسر الأمر للنهاية بدون تدخل أيٍّ منهم.

اقترب صدام بهدوء من قائد المُستعمرة المُلقي أرضاً ثم أسنده برفق إلى الجدار من ورائه وهو يسأله بهدوء:

- لماذا؟!!

- لماذا ماذا؟!!

- لماذا حاولت التمرد على قيادة المُقاومة، لماذا أردت الاستقلال؟

المتمرد بعد أن سعل مرة أخرى:

- لا تقل مقاومة فقط.. قائد المقاومة الحق هو قائد المقاومة في المنطقة الشرقية، إمبراطور الصحراء.

قالها بفخر واعتداد واضحين وعاد يقول:

- كان ينوي توحيد فصائل المقاومة كلها في صف واحد حتى قومك وقوم هذا الرجل.

مشيرًا إلى زي خالد الأسود.

سأله شديد من بين أسنانه:

- وماذا بعد أن يوحد المقاومة؟ هل يستولي هو على كل الموارد خاصتكم وأنتم سترضون بهذا بالطبع.

رد الرجل سريعًا:

- كان سيقا تل الاحتلال في معركة فاصلة لتحديد مصيرنا، لقد علم إمبراطورنا ان أغلب دول العالم قد استسلمت تمامًا للاحتلال لم يبق غيرنا في ميدان المعركة الآن.

رد صدام بغضب متخليًا عن هدوءه وسخريته للمرة الأولى:

- والتمرد وجعل النساء والأطفال يقاتلون في معركة خاسرة، هل هذه هي طريقتكم في المقاومة؟

نظر له الرجل بغل وهو يقول:

- لقد علم إمبراطورنا أن الاحتلال كان ساكنًا طوال الفترة السابقة لأنه يعد خطة ستكون كالبلاء على المقاومة والبشر أجمعين لذلك قرر التحرك سريعًا، فبدأ بضم الرافضين لمجلس قيادة المقاومة الحالي إلى صفوفه والتخلص من معارضيه، ثم سيبدأ في إعادة هيكلة المقاومة وقيادتها مرة أخرى

قال خالد:

- إمبراطورك مجنون، وجنونه سيقضي عليه.

قال الرجل من بين الدماء التي تناثرت من بين شفثيه:

- يموت مقاتلاً أفضل من أن يموت مختبأ خلف أسوار  
مُستعمرته كالجناء.

صمت لحظات مُتجاهلاً نظرات الاستنكار التي واجهته  
ثم عاد يقول:

- صدقوني مجلس المقاومة الحالي لا يريد قتال  
الاحتلال فقط يريد القيام ببعض العمليات القتالية  
الصغيرة التي ستظهر للناس أن المقاومة ما زالت حية  
وتقاتل لكن هذا هراء، السلطة هي كل ما يريده مجلس  
القيادة الحالي، السلطة ولا شيء غير السلطة.

نهض صدام وهو يشير لرجاله بأن يحملوا الرجل  
المصاب وهو يقول له:

- بل أنت وإمبراطورك وما تقوله هو الهراء بعينه أيها  
النتن، خذوه إلى الخارج وضمّدوا جراحه، سيذهب إلى  
قائد المُقاومة ليقرر الأخير عقابه بنفسه.

ثم اقترب منه وهو يقول بتشفٍّ حقيقي:

- أعتقد انه سيصدر حكمًا بإعدامك رميًا بالرصاص.

ثم ضحك بسخرية وهو يقول:

- والأدهى أنه سينفذ الحكم بيده، وسيبث وقائع إعدامك لتراها مُستعمرات مصر بأكملها.

لم يتكلم زعيم التمرد وإن لاح الخوف في عينه والرجال يحملونه للخارج في حين ظل صدام وشديد وخالد ينظرون إلى بعضهم البعض ثم تكلم خالد قائلاً:

- الوضع غير مطمئن، أعتقد أن الأمور ستسوء أكثر.

قال صدام:

- اقترح أن نترك بعض من رجالنا هنا لحفظ الأمن والنظام حتى تقرر القيادة ماذا ستفعل بسكان تلك المستعمرة.

قال شديد:

- حسناً قلت يا سيد صدام، سأترك مئة من رجالي هنا.



قال صدام:

- لقد خسرت الكثير من مقاتلي ولكن بما أن تلك  
الفكرة فكرتي فسأترك عشرين رجلاً هنا ليتولوا حماية  
الأسرى.

أوما خالد برأسه موافقاً:

- لم يعد لديّ الكثيرين من المُقاتلين فقد فقدت أغلبهم  
على الأسوار وأثناء اقتحام البوابة، لكنني سأترك بعض  
القناصة ببنادقهم طويلة المدى وعشرة رجال لحماية  
الجزء المُتهدم من الأسوار.

انطلقت ضحكة عابثة من صدام فجأة وهو:

- لقد أبلتكم حسناً يا رجال، فعلاً لم أكن أتخيل أنكم  
بتلك الاحترافية والقوة.

ابتسم شديد وخالد لقوله بينما عاد صدام يقول:

- حسنًا، ما واجهناه اليوم يعتبر نُزْهة طريفة، فالقتال الحقيقي لم يبدأ بعد يا رفاق.

عاد المقاتلون المُنتصرون إلى مقر قيادة المقاومة ليجدوا في انتظارهم زعيم المقاومة والشيخ فاضل وبعض قادة المقاومة الآخرين في ساحة التدريبات في المستعمرة ليرحبوا بهم..

بعد تبادل التهئة وعبارات الترحيب المُعتادة وقف أمجد وسط رجاله مخاطبًا إياهم:

- لقد حققنا هدفنا من تلك الغارة يا رجال، مصر كلها الآن ترى كل فصائل المُقاومة على قلب رجل واحد، لا أهداف شخصية، لا أطماع، فقط وحدة الصف هي كل ما يهم الآن وإلى الأبد.

قال فاضل:

- لقد نجحنا في إيصال رسالتنا وهذا بفضل الله وبفضل تضحيات من سقطوا في القتال، ولكننا في بداية المعمة ولم تنته كل متاعبنا بعد.

عاد أمجد يقول:

- ليستريح الرجال لقد أمرت بتوفير كل إمكانيتنا لمعالجة الجرحى، وسندفن موتانا بطريقة تليق بهم وبيطولاتهم، فلتستريحوا الآن، ما زال أمامنا الكثير من الأعمال.

ثم دعا صدام وخالد وشديد للتكلم معهم..

مشوا جميعًا ببطء عبر شوارع المُستعمرة تاركين الرجال من خلفهم يستريحوا من أثر القتال والمعركة ساد الصمت لدقائق لم يحتملها شديد الذي قال:

- يا حضرة القائد لقد أصبحت نصف فصائل مصر مُتحدة ضدنا، ولا أعتقد أنهم سيستغرقون وقتًا طويلاً حتى يزحفون ضدنا في ميدان القتال.

لم يرد أمجد فقال صدام:

- لنحشد جميع رجال المقاومة والمعاطف السوداء وأنا بدوري سأحشد الذئاب ولنزحف نحن إليهم ونضرب

ضربتنا في معقلهم.

رد أمجد:

- السير في معركة كتلك بدون وجود معلومات أمر شديد الخطورة، لقد أعطيت أوامري باستجواب قائد المُستعمرة المُتمردة، ولنرَ أي معلومات سوف نستطيع الحصول عليها منه، قد تساعدنا إن قررنا خوض المعركة ضد فصائل سيناء والصحراء الشرقية.

قال فاضل بضيق:

- هذا بالضبط ما يريده الاحتلال، الاقتتال الداخلي فيما بيننا حتى تخور قوانا ثم يضرب ضربته الأخيرة، بزحفنا نحو المتمردين سنحقق له مراده.

قال صدام ساخرًا:

- إذن ماذا كنا نفعل منذ سويغات قليلة أيها العجوز لقد كنا نقاتل بعضنا البعض فعلاً.

قال أمجد:

- الأمر مُختلف الآن، فحشد كافة قوات المُقاومة  
والزحف لمسافة طويلة وخوض معركة لا يعلم مداها  
إلا الخالق، أمر مُختلف تمامًا الاختلاف عن قمع تمرد  
مستعمرة قريبة منك، وأنت تقاتل وسط حُلُفائك الذين  
يؤمنون ظهرك.

انعطف يسارًا بعد نهاية كلماته في أحد الشوارع وهم  
يسيرون وراءه ليجدوا في هذا الشارع مركبة مدرعه  
كبيرة الحجم ويقف بجوارها مازن زعيم المعاطف  
السوداء والعالم حسان يقوم بفحص مُحركها.

انبهر صدام من شكل المدرعة الكبيرة المموه بالأصفر  
والأخضر ليتناسب مع طبيعة الصحراء وهو يقول  
بسخرية:

- يبدو أن المقاومة لديها العديد من الأشياء التي  
تخفيها عنا.

قال فاضل منهيًا جدلاً قبل بدايته:

- إنها الوحيدة من نوعها التي لدينا، ولم نتخيل يوماً أننا سنلجأ إلى استخدامها لأي غرض.

وأضاف مازن:

- إنها ستناسب رحلتكم الطويلة إلى المنيا.

ثم أطرق برأسه إلى الأرض وهو يقول:

- كنت أتمنى حقاً أن آتي معكم لكن..

قطع كلامه صامتاً بأسى واضح على ملامح وجهه  
فقال أمجد:

- أنت لديك العديد من الأمور الهامة التي يجب أن تبقى هنا من أجلها.

ثم استطرد بعد لحظات من الصمت:

- ثم إنني سأحل محلك.

صدم الجميع حتى فاضل نفسه من كلام أمجد وقال  
شديد بجزع:

- أنا أرفض هذا يا سيدي.

بدا الغضب على وجه أمجد جليًا وهو يقول:

- احذر مما تقول يا شديد فأنا زعيم المقاومة ولا يحق  
لأحد إملاء أوامره عليّ.

أطرق شديد برأسه أرضًا وهو يقول بصوت خافت:

- تقبل اعتذاري يا حضرة القائد.

تنحنح صدام وتكلم بصوت هادئ على غير عادته:

- اعذرني يا أمجد، فوجود قائد المقاومة في حملة  
كهذا أمر خطر.. ماذا إن عرف من يسمي نفسه  
بإمبراطور الصحراء بذلك؟ سيجن جنونه بالطبع  
وسيطلق رجاله خلفنا ونحن لدينا ما يكفيننا من  
المتاعب بالفعل.

نظر له أمجد وهو يقول:

- إذن لماذا ستذهب أنت؟ وأنت قائد فصيل من أهم  
فصائل المقاومة المصرية؟

رد صدام سريعًا:

- تلك رحلة ميدانية وليست معركة ستشاركنا القتال  
فيها..

ثم استطرد:

- العالم حسان ليس قائدًا ولا مقاتلًا حتى ورغم ذلك  
سيذهب معنا.

سار خطوتين حتى وقف أمام أمجد تمامًا وهو يقول  
له:

- يا صديقي إنها ليست معركة، لو كانت معركة حقًا  
كنت سأفضل وجودك بجوارتي مقاتلًا وقائدًا للمقاومة.

أكمل خالد:



- صحيح يا سيدي، إنها ليست معركة سنقاتل فيها الأعداء، بل هي رحلة ويكفيها بالفعل ثلاثة مقاتلين.

أخذ يدور ببصره بينهما فتدخل فاضل في الحديث قائلاً:

- إنهم على حق يا أمجد، إن أصابك مكروه سنقع فيما لا يحمد عقباه، ثم إنه يجب أن تعد العدة للمعركة الفاصلة وجودك هنا في هذ التوقيت أهم من ذهابك في رحلة ميدانية

مسح أمجد وجهه براحة يده وهو يقول بنفاد صبر:

- حسناً فلتذهبوا، ستجدون في المدرعة كل ما تحتاجون إليه.

ودعوا بعضهم البعض ركب شديد في مقعد السائق وبجواره صدام قائد الذئاب وفي الخلف جلس كل من خالد والعالم حسان..

تحرك شديد بالمدرعة عبر شوارع المُستعمرة حتى  
خرج من بوابتها وبدأت رحلتهم نحو المجهول..

\*\*\*

كان الظلام دامسًا، والجو خانق، وإيمحوتب يتحسس  
طريقه وسط الظلام، لا يدري كيف وصل إلى هنا، أو  
لماذا؟! .

لا يتذكر أي شيء.. فقط الظلام، كأنه قد ولد فيه  
وخلق منه وبواسطته.. رغم الظلام كان يسير، ممر  
طويل ضيق، أو أن هذا ما يخيل إليه..

أخذ يسير ويسير، أيامًا، أسابيع، شهور، فقط يسير بلا  
كلل أو ملل، ولا تعب..

لم يتوقف إلا عندما سمع صوتًا مألوفًا يناديه  
"إيمحوتب".

توقف وهو يلتفت حوله يمينًا ويسارًا باحثًا عن مصدر  
الصوت الذي بدا وكأنه يأتيه من اللامكان ومن كل

مكان..

عاد الصوت يتردد مرة أخرى " لماذا تقاوم؟"

صرخ بأعلى صوته:

- من أنت؟

قال الصوت:

- أنت تعرف من أنا.

بعد نهاية الجملة سطم ضوء باهر أغشي بصر إيمحوتب وأجبره على غلق عينيه ثم خفت فجأة كما ظهر، ليكشف عن شخص طويل القامة يرتدي عباءة طويلة ذات قلنسوة تخفي رأسه وملامحه.

زادت سرعة دقات قلب إيمحوتب وهو يرتجف ويتصبب عرقًا غزيرًا رغم البرودة التي غزت أطرافه وجمدتها..

قال بصوت مُرتجف ككيانه:

- ماذا تريد مني؟! .

- أنا أريدك أنت، عقلك فريد ومنظم ولا نظير له وسط قومك أو الأقوام الأخرى الساكنة للأرض الحالية، لن أبالغ إذا قلت أن عقلك من أقوى العقول الذي قد شاهدها هذا الكون..

ازداد الخوف في قلب إيمحوتب ولم يرد فعاجله الغريب قائلاً:

- أنا من أقدم من سكن هذه الأرض، لا توجد حضارة شُيدت عليها إلا ولي وجود فيها، لا ديانة وُجدت على الأرض إلا وكان لي ولقومي أثر فيها، ملائكة أو شياطين أو حتى آلهة، كنا موجودين دومًا وسنظل دائمين.

بدأ إيمحوتب يفهم الموقف المحيط به فحاول أن يستفيد منه أقصى استفادة ممكنة فقرر مُسايرة هذا الغريب وقال:

- ولماذا تريدون إفناء الكائنات الأخرى؟

مرت لحظات ثقيلة من الصمت ثم عاد الصوت يقول:

- كيف أفني مصدر حياتي؟ هذا الكون بأكمله مُكمل لبعضه البعض، وجودي مهم ووجود قومك مهم ووجود البشر مُهم أيضًا، لكن هذه سنة الحياة، القوي يريد خضوع الضعيف، لماذا؟ أعتقد أنك أذكى من أن تسأل هذا السؤال.

أحس إيمحوتب بعدم جدوى مُجاراة هذا - الشخص - فاكتفى بالصمت في حين أكمل الصوت:

- لقد حاربنا قومك بشراسة، أعترف بهذا، وكدتُم أن تنهوا وجودنا، وهذا ما لم يستطع أحدًا من قبل فعله، سبق وأن قابلنا مخلوق قديم حاربنا بشراسة، ولكنه لم يكن سيقضي علينا، لقد هزمنا فحسب، أما أنتم فقد كنتم تهلكوننا تمامًا، لقد فجرتم قارتكم وهربتم، لكن لا تظن أن بهروبكم ستنتهي المعركة، لا.. سنعود بعد سيطرتنا على هذه الأرض، وسنذهب إلى عقر داركم، ولن نستعبد شعبكم، بل سنبيدكم عن بكرة أبيكم.

بتحدي قال إيمحوتب:

- لقد فشلتُم في قتالكم لنا ونحن على أرضكم، فما بالك بما ستواجهونه وأنتم على أرضنا.

بسخرية رد عليه:

- لا شيء، لن نواجه أي شيء، لكن لا داعي للقلق على قومك، اقلق على نفسك أولاً.

- هل ستقتلني؟!

- لا، بل أسوأ من هذا، أنت من ستكون مفتاح عودتنا يا إيمحوتب، أنت من ستقود غزونا العاشر لتلك الأرض وستقود غزونا لعالمك أيضًا.

قال إيمحوتب بصوت قلق:

- لا أحد سيستطيع إجباري على خيانة قومي في الأرض أو قومي الذين في عالمي لن...

غمر الضوء المكان بطريقة أجبرت إيمحوتب على إغلاق عينيه بشدة، وعندما فتحها مرة أخرى وجد نفسه في غرفته داخل المعبد المصري الكبير في جنوب البلاد، وأمامه رقوق من البردي مدون فيها كلمات بلغة غريبة غير مفهومة، وعشرات المعادلات الرياضية المُعقدة بالإضافة إلى رسومات غريبة للغاية بعضها مُخيف وبعضها لا يدل على أي شيء، حاول إيمحوتب النهوض من مكانه أو الصراخ طلبًا للمُساعدة، ولكن صوت الغريب دوي في رأسه وهو يقول له بسخرية شديدة:

- كل حرف تكتبه الآن سيساهم في عودتنا مرة أخرى يومًا ما، قد يكون هذا بعد ساعات، أيام، أسابيع، شهور، سنوات، قرون لا يهم، لكننا سنعود ولنا انتقامنا، وسنسيطر على كل روح تعيش في هذا الكون البائس.

لم يستطع إيمحوتب الرد وعاودت يداه الكتابة..

لم يتبادل الرجال الاربعة كلمة واحدة منذ خروجهم من المستعمرة حتى بداية طريقهم نحو مُحافِظة المنيا المنكوبة، المكان الذي بدأت منه النهاية..

كانت أمام شديد توجد خريطة مدروسة بعناية شديدة من قبل استخبارات المُقاومة بحيث تجعل من يمشي على تعليماتها أن يبتعد عن الاحتلال ودورياته، الرغبة في الحديث كانت مقتولة لدى الجميع، عندما يكون مُستقبلك مُظلم وحاضرك أكثر اظلامًا، ستجد أنه لا توجد بك طاقة تعينك على ممارسة أقل حقوقك أو رغباتك..

إلا حسان الذي حاول فتح أي حديث لشعوره بالملل فقال:

- يقولون إن المنيا أصبحت الآن خاوية على عروشها، حتى الاحتلال انسحب منها وتركها.

رد عليه صدام بسخريته المعهودة:



- بالطبع فضربة البداية وبداية المباراة كانت من هناك، وأوافقك الرأي لقد هلك أغلب أهل المنيا قبل بداية الاحتلال في الأصل بسبب الأمراض وتفشي الجنون بينهم فما بالك بما حدث لهم بعد الاحتلال..

ثم أردف بجدية قائلاً:

- لكنني قد سمعت أن جميع من أُصيب بتلك الطفيليات من أهل المحافظة قد خرج منها إلى المدن المجاورة لها، وأن من تبقى من أهل المنيا قد هربوا ولجؤوا إلى الجبال، لا أحد يعلم الحقيقة قط في مثل تلك الأمور فبمجرد سقوط القاهرة، لم يعد أحد يهتم بأي أخبار تأتي من بعيد

كان شديد صامتًا يصب كل تركيزه على الطريق ومن حين لآخر كان يلقي نظره على الخريطة الإلكترونية شديدة الدقة ليتأكد من صحة مسارهم.

بينما انشغل خالد بمتابعة الطريق ولم يحاول حتى الانتباه لما يقولونه..

اندمج صدام في الحديث وعاد يسأل حسان:

- قل لي يا حسان ماذا سنفعل إن لم نستطيع ايجاد تلك المقبرة؟ أو إذا وجدناها ولكننا لم نجد المطلوب فيها ماذا سنفعل وقتها؟

فاجأ ذلك القول حسان تمامًا وباغته فهو لم يفكر في هذا الاقتراح ولو للحظة فأخجله هذا وقال بصوت خافت:

- لا شيء سنحاول صنع السلاح بأقل الامكانيات المتوفرة لدينا، ربما سأبحث عن بديل

ثم خفض صوته أكثر وهو يقول:

- لذلك فلندعُ الله إذن أن نجد كل شيء مكانه في تلك القرية المنكوبة.

ظلت النظرة العابثة تطل من عيني صدام، وقد أدرك أن تلك الرحلة برمتها لا طائل منها، لكنه سيؤدي واجبه

نحو قومه للنهاية، ولن يدع مجالاً لأي أحد بأن يُشكك فيه أو في ولائه.

في حين تكلم شديد لأول مرة مُنذ بداية الرحلة بصوت هادئ:

- لقد قررنا القتال حتى الرمق الأخير في سبيل صنع هذا السلاح وهذا ما أنوي أن أفعله أنا، وذلك ما ينبغي أن يفعله أي واحد منا، عن نفسي أنا لن أعود إلى فراشي حتى يكون هذا السلاح موجود بالفعل بحوزتنا.

نظر له صدام نظرة جانبية بطرف عينه وعاد لينظر إلى الطريق مرة أخرى بطريقته العابثة..

\*\*\*

بعد ساعتين أعلن شديد عن وصولهم إلى محافظة المنيا.. هدأ شديد من سرعة المدرعة تدريجياً، وذهل الجميع من حجم الدمار الذي لحق بتلك المدينة..

المباني مهدمة ومحطمة تمامًا، أثر حرائق ضخمة بقي رمادها الأسود على الأرض وعلى الحوائط المتهدمة كدليل أصيل على وجودها ذات يوم من الأيام..

أثر دماء وملابس متناثرة على الأرض بطول الشوارع كلها..

سيارات محطمة ومدمرة.. أسلحة ملقاة بإهمال في كل مكان..

العديد من الآليات العسكرية المعطوبة والمتناثرة هنا وهناك، وحولها تتناثر بعض الملابس العسكرية الممزقة..

حتى أنهم قد وجدوا حطام لطائرة مروحية عسكرية يسد عنهم الطريق المؤدي إلى داخل القرية..

كان الدمار والموت هو العنوان الوحيد لذلك المكان، بقع الدماء الجافة التي لوثت كل مكان وكل شيء، لم تدل سوى على الجحيم الذي عاناه أهل تلك المنطقة..

أوقف شديد المُدرعة وهو يعرض على شفّتيه غاضبًا،  
شعر بنار العضب تحرق جوفه..

لم يكن وحده الذي يمتلكه هذا الشعور بل كان الجميع  
يسيطر عليهم الخوف والغضب والرغبة في الانتقام  
بنسب متفاوتة..

شق صدام سكون الغضب الذي يلفهم وقال بصوت  
متوتر:

- يبدو إنها مدينة أشباح فعلاً، لا يوجد أدنى أثر لأي  
شكل من أشكال الحياة هنا، يبدو أن استطلاعات  
المُقاومة

قال خالد بصوت يملؤه الغضب:

- الجشع والطمع كانا البوابة التي جاء منها هذا الوباء  
إلينا، من هنا حلت علينا اللعنة.

في أثناء حديثهم قام شديد بالالتفاف بالمدرعة حتى  
يتجنب ذلك الطريق المسدود ببقايا المروحية

## المحطمة..

كان الغضب وقتها قد بلغ مبلغه لديهم، وهو بالأخص، لكن لم يستطع أيٌّ منهم التنفيس عن ذلك الغضب.

لم يشعروا بمرور الوقت ولم ينتبهوا إلا على صوت شديد وهو يقول بتوتر مُمسكًا بالخريطة الإلكترونية:

- لقد وصلنا إلى قرية بني مزار لكننا لن نستطيع دخول القرية بالمدرعة لذلك سنكمل طريقنا سيرًا على الأقدام، لا حل آخر أمامنا، المُدرعة كبيرة الحجم وقد نواجه بالداخل عقبات قد لا نستطيع أن نناورها مثل ما فعلنا عند مدخل القرية

ارتجف حسان من مجرد فكرة سيرهم على الأقدام دون اللوذ بأمان المُدرعة، أن يمشي وسط تلك الأطلال، فكرة مُخيفة للغاية بالنسبة له، خصوصًا مع قُرب موعد غروب الشمس، لكنه لم يُبد أو يظهر اعتراضًا، أو وجلاً، بل ترجل من المُدرعة حاملاً حاسوبه اللوحي على يده..

وترجل الآخرون من المُدرعة وهم شاهرون فوهات مدافعهم ويراقبون الأطلال التي حولهم ويفوح منها رائحة الدماء والموت بحذر وترقب..

تقدمهم شديد بالخريطة الإلكترونية في يده وهو يقول:

- المنزل الذي بُني فوق المقبرة يقع في منتصف البلدة تمامًا سنصل إليه في غضون خمسة عشر دقيقة على الأكثر، إن لم نواجه أي عقبات.

وكان هذا أكبر ما يتمناه أحدهم وقتها، أن تسير الأمور كما يريدون، بدون أي تعقيدات..

كانت الشمس مختبئة خلف الغيوم الكثيفة ولكن الحرارة كانت خانقة بالرغم من أنهم في منتصف فصل الشتاء..

بدؤوا في السير وهم يتلفتون حولهم، مُتأملين حجم الدمار الذي لحق بالبلاد والعباد، كانت المسيرة صامتة، مثلما القرية من حولهم صمتًا ينافس صمت القبور،

وبعد عدة دقائق من السير قال صدام بلهجة عادية خالية من الانفعالات وكأنه يخبرهم بأن الطقس جميل:

- هُناك من يتبعنا.

أخذ حسان يلتفت حوله يمينًا ويسارًا فنهره خالد الذي قال:

- أنا أيضًا أشعر بهذا، ربما يكون السبب هو هذا الصمت المُرِيب فقط.

تجاهله صدام بينما رد شديد:

- لقد اقتربنا من المقبرة لننهي عملنا الذي جئنا من أجله سريعًا ولنرحل عن هذه المقبرة الضخمة.

تعجب حسان فقال:

- لا يوجد أثر لأي جُثث هنا يا رفاق؟!!

رد صدام متهكمًا:



- بالتأكيد فأغلب أهل القرية قد قتلوا أو سيطرت على أجسادهم تلك الطفيليات لكن الباقين قد هربوا بالتأكيد، مثلما فعل سكان القاهرة وباقي المدن.

وصمت للحظات قليلة ثم تابع حديثه:

- لا توجد معلومات مؤكدة حول هذا الموضوع، فقط العديد من الأقاويل المتناثرة هنا وهناك، لكن الحقيقة لا يعلمها إلا الخالق فقط.

رد عليه خالد:

- لكن المُثير حَقًّا للدهشة، عدم وجود أي تواجد للاحتلال هنا، ما الذي دفعهم إلى ترك تلك المدينة وعدم إنشاء أي قواعد أو مبانٍ ذهبية لهم فيها، ثرى ما السبب في هذا؟

أسقط في يد صدام ولم يجد جوابًا مناسبًا فاكتفى بمط شفثيه وهز كتفيه وكأنه غير مبالي بهذا الأمر برمته .

مرت دقيقتان حتى ارتفع صوت شديد قائلاً:

- سننعطف يمينًا من هنا يا رفاق.

أقرن قوله بالفعل، وهو ينعطف يمينًا إلى شارع ضيق، كل المنازل فيه مُحطمه ومُهدمه إلا منزل واحد فقط كان سليمًا على نحو يُثير الريبة والخوف معًا..

توقفوا أمام هذا المنزل وهم ينظروا إليه بترقب وقلق حتى شق خالد سكون الصمت الذي غلفهم وقال موجهاً الحديث إلى شديد:

- لا تقل لي إنه هو هذا المنزل، أرجوك

اكتفى شديد بأن أوماً برأسه موافقًا ثم أغلق خريطة الإلكترونية، وطوى جهازها ثم وضعها في حقيبة ظهره..

ظلوا أمام البيت مشدوهين كمن وقف الطير على رؤوسهم وقال حسان بلهجة تُقطر المرارة مع كل حرف من حروفها:

- إذن من هنا بدأ كل شيء، من هنا بدأت اللعنة التي حلت على البشرية لتقضي عليها.

بخطوات حذرة دلفوا إلى داخل المنزل مفتوح الباب، الذي ظل كما هو وكأن القيامة لم تقم في الخارج! .

أحس الجميع بأن أصحاب المنزل سيخرجون عليهم من أي غرفة في أي وقت!

قال خالد بصوت تسلل إليه الحوف واغتصب كلماته:

- هذا المنزل غير طبيعي بالمرّة، أشعر بحضوره الثقيل يجثم على صدري وعلى عقلي.

رد عليه صدام وهو يعبث بمحتويات المنزل ويفتش فيها بلا داع:

- يقولون إن هذا المنزل خرج منه أحد ملوك الجان السبعة الكبار لذلك هو غير طبيعي، وله حضور ثقيل على الأنفس.

ثم استطرد متهكمًا:

- خرافات بالطبع.

قال حسان بلهجة مُحايِدة:

- أنا رجل علم يا سيادة العقيد، لا أقتنع إلا بما تراه عيناى، ولا أحب إلقاء اللوم دائمًا على الماورائيات، ولكن فسر لنا إذن بقاء هذا المنزل على طبيعته.. حتى الأثاث مُرتب وكأن لم تكن هناك حرب شعواء بالخارج، التفسير الوحيد والمقنع أن هذا المنزل به شيء غير طبيعي، شيء منع تلك الطفيليات من الاقتراب من هذا المنزل.

هم صدام بالإجابة، لكن شديد قاطعه وهو يشير إلى بقعة مُعينة على الأرض:

- فليذهب هذا المنزل بجانه وشياطينه إلى الجحيم، فلنأخذ ما جئنا لأخذه ولنغادر تلك القرية الملعونة سبغًا إلى الأبد، طبغًا لتحرياتنا فأن الباب المؤدي إلى المقبرة يقبع في هذا الطابق الذي تقف فيه الآن

تقدم وهو يدقق نظره وأخذ يعبت في الأرض وقام بإزاحة فراش بسيط من الحصير ليجد تحته باب خشبي بدائي تم إخفاؤه بطريقة ساذجة للغاية..

شد مزلاج الباب لكنه أبى أن يُفتح، فعلق خالد:

- إنه مُغلق مُنذ سنوات، وصدئت مفاصلاته، لن يفتح بسهولة أبدًا.

عقد شديد حاجبيه وبدون تفكير أو تردد أخرج مسدسه بسرعة شديدة وأطلق ثلاثة رصاصات على مفاصل الباب ومزلاجه بالتناوب.

صاح خالد مُعترضًا في حين نعتة صدام بالحمق والتهور بينما تراجع حسان واضعًا كفيه على أذنيه ومُغمضًا عيناه بشدة.

نظر لهم شديد باستهزاء على غير عادته والدخان يتصاعد من فوهة مسدسه، أعاد سلاحه إلى غمده وانحني على الباب الذي فتح له بسهولة ويسر بعد تحطم مفاصلاته.

ألقى شديد نظرة إلى الأسفل وهو يقول:

- السُّلم موجود، ولكننا سنحتاج إلى إنارة، الظلام دامس في الأسفل.

أخرج الجميع مصابيحهم التي تعمل بالطاقة الشمسية وبدؤوا في النزول واحدًا تلو الآخر في حذر، تجنبًا منهم للوقوع بسبب تعفن خشب السلم الموضوع هنا منذ عشرات السنين.

نزل شديد أولاً وهو ينير طريقه تلاه خالد ثم صدام وأخيرًا حسان الذي كان يرتجف من البرد والخوف.

أخذ حسان وقتًا طويلاً في نزول السلم وعندما انتهى من النزول وجد الثلاثة رجال يقفون مشدوهين مبهورين بما يرونه حولهم في كل مكان.

قال لهم حسان وهو يلهث بشدة:

- ألم تروا مقبرة فرعونية من قبل يا رفاق؟! .

لم يرد عليه أحد واكتفوا فقط بمشاهدة ما حولهم  
بانبهار كبير، كانت محتويات المقبرة كلها سليمة لم  
تمس على نحو آثار دهشتهم وريبتهم، وزاد من خوفهم  
من هذا البيت.

وقف حسان للحظات ينظر حوله بتركيز باحثًا عن  
شيء ما بعينه فقط، ثم أخرج حاسوبه اللوحي ونقر  
على شاشته البلورية بسبابته عدة مرات، وسار بضعة  
خطوات إلى ركن المقبرة الذي يقبع فيه تابوت الحكيم  
(إيمحوتب) المهندس القادم من الأعلى، انحنى بجوار  
التابوت ليجد صندوقًا ذهبيًا صغيرًا، التقطه بلهفة  
وفتحه عابثًا بمحتوياته للحظات قليلة، حتى أخرج  
منه ورقة بردي صغيرة الحجم، فردها بحرص وعناية  
كأنه يحمل مولودًا، والتقط لها صورة من خلال حاسبه  
اللوحة، ناشدًا ترجمتها من المصرية القديمة إلى اللغة  
العربية عبر برنامج، صممه بنفسه خصيصًا لهذا الجزء  
من المهمة..

مرت الدقائق الخمسة التي قضاها الحاسب في ترجمة  
النص على الرجال الأربعة كالدهر الطويل عدا حسان

الذي كان يراقب شاشة حاسوبه بشغف، بينما اكتفى الثلاثة الباقون بالتطلع إلى أركان المقبرة باهتمام وفضول بالغين، بعد الدقيقة الخامسة أصدر حاسوب حسان أزيز خافت للغاية، ليتنفس الأخير الصعداء وهو يقول بارتياح بالغ:

- الحمد لله، لقد وجدنا ما جئنا لأجله أيها السادة.

ثم فرد قامته وهو يقول بنفس اللهجة:

- الآن يمكننا القول بأن مهمتنا انتهت.

التفت له صدام الذي كان يدقق النظر في أحد أركان المقبرة ثم قال بصوت يشوبه التوتر:

- لا تقل هذا، لا تقله أبدًا، الطريق مازال في بدايته، الطريق ما زال طويلًا.

خرج الرجال الأربعة من منزل (محمد عبد القادر) وخليط غريب من المشاعر يعصف بهم، القلق والخوف والترقب، وانتظار نتائج مهمتهم تلك..



هل ستنجح مهمتهم تلك؟

هل ستصبح مصر حرة مرة ثانية؟

دخولهم لذلك المنزل، حرك فيهم خوف مبهم، لا يوجد له سبب، فهم لم يواجهوا شيئاً في الداخل يدعو للخوف أكثر من الدهشة، ترجم صدام تلك الأفكار إلى حديث قائلاً لرفاقه:

- هذا المنزل غريب للغاية، أكاد أشعر إنه حي ويتنفس مثلنا.

أثارت كلماته القشعريرة في نفوس الجميع لكن خالد أصر على إرعابهم وإقلاقهم بطريقة أفضل فقال:

- هناك شئ مريب يحدث الآن، لقد لمحت ظلًا يجري مُبتعدًا عند أحد الحوائط المتهدمة على يسارنا.

رد حسان والخوف يعصف بصوته:

- هل من رأيته كان من المُحتلين أم بشري عادي؟! .

توقف شديد فجأة وهو يلتفت حوله يمينًا ويسارًا وهو يقول بصوت مرتفع بعض الشيء:

- لا يوجد ما يقلق هنا أيها السادة، لا دليل على وجود أي شيء يتحرك أو يتنفس هنا.

سأله حسان:

- ماذا عن الظل الذي رآه السيد خالد ربما .. ..

قاطعه شديد في غلظة:

- ربما سراب أو ربما يتخيل بسبب الارهاق وقلة النوم، أو ربما أي شيء، لا تبددوا أنفاسكم على كلام لا يسمن مثل هذا، ولنزيد من سرعتنا حتى نذهب إلى مُدرعتنا ونغادر هذا الجزء من البلاد.

كانوا قد تركوا مدرعتهم قبل مدخل قرية (عزبة شمس الدين)، وقد نفذوا نصيحة شديد وزادوا من سرعتهم ولم يتبق الكثير حتى يصلوا إلى موقع المُدرعة، الشارع الذي يسرون فيه كان واسع بعض

الشيء، لكنه مُمتلئ عن آخره بحطام المنازل والسيارات المعطوبة والمحتركة، وهنا وهناك ستجد بعض السيارات مفتوحة وسليمة تمامًا وقد تسير إذا وفرت لها الوقود المناسب، الوقود أمر نادر جدًا حاليًا لكنه موجود..

رائحة الدماء والموت تزكم الأنوف، مع كل انعطاف تشعر أن هناك وحوشًا آتية من الجحيم ستخرج لاصطيادك، أو لأخذك معها إلى حيث تنتمي..

قال حسان بتذمر:

- رغم أننا وجدنا ضالتنا، لكن هذا المكان موحش وكئيب إلى أقصى حد، المكان هنا يشعرك بالحزن، بل أعتقد أنه يدخله إلى قلبك مباشرة.

أراد صدام أن يلقي عليه دُعابة ما أو تعليقًا ساخرًا يهزأ من كلامه، إلا أن نياته كلها قد ماتت مع سيل الرصاصات الذي انهال عليهم من ثلاثة اتجاهات مختلفة.

صاح شديد وهو يرمي بنفسه خلف أحد السيارات المعطوبة المنتشرة عبر الشارع ليتخذها كساتر بينما يشهر سلاحه:

- احتموا جميعًا بسرعة.

كان صياحه بلا معنى وبلا هدف مُعين، فهذا أول ما فعله الجميع فور سماع دوي الرصاصات التي كانت تأتي من خلفهم اندفع الجميع خلفه ليحتموا وراء نفس السيارة التي يحتمي بها، وعاد الألم يهاجم موضع إصابة خالد في كتفه، التي كان قد أصيب بها على أسوار مُستعمرة (المرصد الفضائي).

استمر انهيار الرصاص عليهم مُحدثًا دويًا شديدًا إثر الاصطدام ببدن السيارة المعدني التي يحتمون بها، وتناثرت شظايا الزجاج في كل مكان مصيبة الكل بجراح خفيفة متفرقة..

كان الموت يقترب منهم وهو يبتسم بهدوء إلا أن توقف إطلاق النيران فجأة كما بدأ فجأة وعم السكون

القرية كلها، الانتقال من لحظة تعج بالضجيج للحظة لا يتنفس فيها إلا السكون، أمرًا كفيلاً بتحطيم أعصاب أقوى وأشجع الرجال، وزاد الطين بلة عندما تعالي صوت أجش عبر مُكبر صوت بدائي يطالبهم بالاستسلام وإلقاء الأسلحة وعدم المُقاومة..

تبادل الرجال الأربعة فيما بينهم نظرات دهشة وجزع، فتقارير المُقاومة لا تُشير إطلاقًا إلى وجود مُحتمل لأي حياة في هذه البقعة من البلاد، زاد توترهم الصوت الذي كرر طلبه بغضب واضح هذه المرة

قال صدام بصوت خافت:

- اسمعوني جيدًا فيما أقوله ولا يناقشني أحد فيه، سأقوم بالتوجه إلى تلك السيارة التي على يميننا أعتقد أن الصوت قريب منها وأستطيع التصويب من هناك أفضل على مصدر الصوت أو على أقل تقدير سيذهب عنكم، وسيقوم خالد بتغطيتي، بينما سيركض حسان وشديد إلى المُدرعة، إنها لا تبعد عنا

سوى دقائق قليلة، وسنحاول نحن أن نأتي إليكم عند مدخل القرية، ولكن كونوا مُستعدين للمُغادرة فور رؤيتنا

رد خالد وهو يجذب أجزاء سلاحه:

- وإذا تأخرنا اذهبوا ولا تنظروا وراءكم أبدًا.

كانت خطته خطيرة إلى أبعد الحدود لكن لا بديل عنها وقد يموتون جميعًا فقال شديد:

- سأبحث في مدخل القرية عن سيارة تصلح للعمل، وسأعود لالتقاطكم بعدما اطمأن على وجود حسان آمنًا في المُدرعة.

رد عليه خالد:

- ما مع حسان يجب أن يصل إلى المقاومة تحت أي ظرف وإلا فلن تكون مهمتنا ذات فائدة.

ثم ربت على كتف حسان وهو يقول لهما:

- اركضا بأقصى سرعة لديكم، سنحاول تدبر أمورنا لا  
تقلقا.

نظر حسان إليهم نظرة مودعٍ وكأنه لن يراهم مرة  
ثانية أبدًا في حين صدح الصوت مرة أخرى مُعطيًا  
التحذير الأخير قبل الهجوم..

عاجلهم صدام وقال وهو يناول حسان سلاحه الآلي  
الكبير:

أسرعا، وأنت خُذ هذا ستحتاجه.

تلجلج حسان ومد يده الخالية من الدماء ليلتقط  
السلاح وهو يرتجف:

- لم أستخدم واحدًا من قبل.

رد صدام بسخريته المُعتادة:

- لا عليك ستستخدمه الآن، وجه فوهته نحو الهدف،  
واجذب الزناد، الأمر بسيط.

ثم دفعه بعنف وهو يصيح:

- هيا اذهبا الآن.

أخرج مسدسين من حزامه وانطلق راكضًا بأقصى سرعة لديه نحو السيارة التي على يمينه وهو يطلق النيران في عدة اتجاهات، بينما نهض خالد بدوره مُطلقًا رشقات مُتتالية من بدقيته بكثافة شديدة، وركض حسان وشديد ليهربا إلى خارج حدود القرية، تاركين القتال من خلفهما يحتدم، والرصاصات تتطاير هنا وهناك تحاول بلوغهما، بينما رفاقهما يحولون دون وقوع ذلك..

كادوا أن يبلغا نهاية الشارع، لكن قبل نهايته، صرخ شديد صرخة عظيمة وخر واقعًا على الأرض، حسب حسان ميثًا لكنه لم يجد أي أثر يدل على اختراق الرصاص لجسده فقرر أنه فاقد للوعي فحسب..

جعلت الصرخة صدام وخالد يتوقفان عن القتال ليلتفا باتجاههما ليجدا حسان مُقتربًا من شديد يحاول جذبه



خارج مرمي النيران ليجد قدم شديد اليمنى أسيرة لفخ إلكتروني مُعقد وحديث، يبت في الجسد صدمة كهربائية تُفقد الوعي لدقائق، لم يدر حسان ماذا يفعل، وحاول خالد أن يركض باتجاهه، بينما عاود صدام إطلاق النيران مرة أخرى لتغطية تحرك خالد المفاجئ وهو يصرخ فيه لاعتنا إياه لأنه سيتسبب في مقتلهم جميعًا..

ظهر عدد كبير من الرجال فجأة وأحاطوا بجسد شديد الساقط أرضًا وبحسان الجاثي بجانبه على الأرض وتقدم أحدهم نحو حسان وهو ينهضه بخشونة ويضع خنجرًا أسود قبيح الشكل على رقبته بينما صوب الآخرون أسلحتهم إلى جسد الشديد الملقى على الأرض فاقدًا للوعي..

بينما ارتفع الصوت مرة أخرى قائلاً:

- استسلموا وألقوا أسلحتكم أرضًا ولا تدفعونا إلى قتلكم جميعكم، نحن أكثر منكم مئة مرة، لذلك استخدام القوة معنا غير مُجدد على الإطلاق.

رمى خالد الذي كان في منتصف المسافة بين مكمنه وبين شديد وحسان بندقيته أرضًا وهو يستشيط غضبًا في حين رمي صدام مسدسيه وهو يبصق على الأرض..

اندفع عدد آخر من الرجال من داخل الأطلال المحيطة بهم وهم يحاصرونهم مصوبين أسلحتهم ناحيتهم..

ليتقدم رجل طويل أسمر البشرة، قوي البنية، ملامحه جنوبيه بامتياز، كان هو صاحب الصوت الذي كان يطالبهم بالاستسلام تعرفوا على صوته بمجرد أن تكلم قائلاً بهدوء لا يناسب الموقف على الإطلاق:

- أغراب في أرضنا، لم يحدث هذا منذ عقود.

اقترب أكثر من صدام بالتحديد وهو يقول له مُتطلعًا إلى زيه المُموه الذي يرتديه:

- سيتعجب الزعيم من هذا أيضًا كثيرًا

نفض صدام رأسه وقال وهو يرسم بسمه هازئة على شفتيه:

- عجبًا لكم أيها المصريون، أصبح لكل مجموعة من الناس تمتلك سلاحًا زعيمًا يتحكم في قطعة أرض يظن أنه قد ورثها عن جدوده، من أنتم ومن هو زعيمكم هذا؟! .

ارتسم الغضب جليًا على وجه الرجل الأسمر الذي قال بغضب مكتوم:

- احذر مما تقول أيها الارعن فقد يكلفك حديثك حياتك، أنت غير مسموح لك بأن تسأل، أنت هنا سَتَسأل وستُجاوب وإلا..

داخل مقر المقاومة الرئيسي وفي غرفة القيادة جلس أمجد وفاضل ومازن على طاولة واحدة وأمامهم خريطة كبيرة لكامل القطر المصري، كانت الخريطة توضح أيضًا أماكن وجود المُستعمرات الخاضعة

للمقاومة، كذلك مواقع المعسكرات، والمواقع المُحتمل  
تواجد موارد جديدة فيها..

قال مازن وهو يشير إلى إحدى النقاط على الخريطة:

- لا تعتقدوا أن التخلص من الاحتلال سيكون آخر  
همومنا، فعند زوال الاحتلال سنجد مشكلة أكبر  
تواجهنا.

تطلع إليه الحكيم فاضل صامتًا بينما سأله أمجد:

- ما تلك المُشكلة؟

قال مازن وهو يحك لحيته النامية:

- بعد التحرير ستجد مناطق كثيرة، يوجد بها مئات  
الرجال المسلحين، ستنشأ بينهم صراعات مُسلحة على  
السيادة والزعامة، من لا يملك سلاح سيكون مُعرضًا  
لدهس من الآخرين.

قال أمجد:

- سنكتسحهم كما فعلنا في مستعمرة المرصد الفضائي، لا أمل لهم سوى الرضوخ والخضوع لنا، وهذا لمصلحة البلاد.

- بعضهم سيكون موالياً لك، هل ستهاجم رجال أقسموا على الولاء والتبعية لك يا أمجد؟

هنا تدخل فاضل في الحديث قائلاً بهدوء شديد يحمل لمحة عتاب:

- ليست الأمور الصعبة كلها تستطيع حلها بنفس الطريقة، الحديد والنار لغة من لا لغة له.

وافقه مازن قائلاً:

- لقد كانت ضربتنا للمتمردين في مستعمرة المرصد الفضائي هدفها الأساسي والأول بث رسالة إلى جميع فصائل المقاومة الأخرى أن المقاومة لها اليد العليا في مصر حالياً، لكن بعد معركة المقاومة مع الاحتلال هل تضمن أن تظل قوة المقاومة العسكرية والبشرية

كافية لمواجهة تمرد قد يشتعل في نصف البلاد دفعة واحدة؟!

قال أمجد مفكرًا:

- إذن سنقوم بتنظيم مصر إداريًا بحيث تخضع كل منطقة أو مدينة إلى فصيل تابع للمقاومة، بمعنى أصح ستظل الأمور كما هي مع إضفاء المزيد من الشرعية عليها.

قال مازن بعد لحظات من التفكير:

- هذا حل مقبول نوعًا ما، ولكن سنحتاج إلى اقتراحات أخرى حتى نستطيع أن نناقشها على الملأ.

رد فاضل موجهًا نظره إلى مازن:

- هذا أفضل ما نفعله، حتى لا يقول الناس أننا نأخذ القرارات وننفذها، ولا نعتبر لهم وجود، يجب أن يشعر الناس أنهم يشاركون في قرارات المقاومة.

قال مازن:

- هناك فكرة أخرى لديّ، لماذا لا ننشئ مجلسًا به قادة كل فصائل المقاومة ويقوم هذا المجلس بالحكم بالشورى بين أعضائه، هذا سيضمن لنا نظام حكم أفضل للبلاد، ولن يخرج قرار من هذا المجلس إلا إذا وافق عليه كل الأعضاء..

قال أمجد بنفاد صبر واضح:

- أعتقد أننا نستبق الأحداث، فلننتهي أولاً وجود الاحتلال على أرض مصر ثم نتناقش فيما بعد في مسألة تقسيم حكم البلاد، لا تقسموا الكعكة قبل الشراء.

قال مازن مُحذراً وقد اجتاح الغضب لهجته:

- لن يمكنك التعامل مع هذا الأمر باستهتار يا أمجد، إنه مُستقبل البلاد والعباد.

ثم نهض من مقعده قائلاً بصوت يملؤه الغضب:

- صحيح أنك زعيم المقاومة ولديك آلاف الرجال يأتَمرون بأمرك لكن المعاطف السوداء لن يروا مصر ومواردها تنهب بدون أن يتدخلوا، فان كنت لا تستطيع ان تحكم بجديّة فدع الأمر لمن يستحقه، وثق بأن هذا أيضًا سيكون رأي الذئاب.

ازداد احمرار وجه أمجد واحتقانه، ونهض من مقعده بدوره في حين مسح فاضل وجهه براحة يده مبدئيًا سأمه من عدم جدوي الحديث الدائر أمامه.

قال أمجد لمازن بلهجة مُحايِدة:

- احذر يا مازن مما تقول لقد قُدت المقاومة لعشر سنوات خضت فيها معارك عديدة ضد الاحتلال أكثر من المعارك التي خضتها في حياتك كلها، لقد حافظت على المُقاومة ومواردها الضئيلة وحافظت على وحدة الصف لأعوام، فلا تقل لي الآن أنني غير صالح لحكم البلاد.

رفع مازن سبابته في وجه أمجد مُحذرًا وهو يقول:



- صدقني إن لم تضع خطة بديلة من الآن ستتمنى ألف مرة لو كانت ظلت مصر تحت نير الاحتلال ولم تتحرر قط.

ثم غادر الغرفة صافحًا الباب خلفه، تاركًا أمجد وصوت تنفسه المرتفع دليل على انفعاله الشديد .

قال فاضل بلهجه عاتبه ومؤنبة:

- الرجل يقول الحق يا أمجد بعد تخلصنا من الاحتلال سيظن قادة المقاومة أن الأمور أصبحت أسهل وأيسر من ذي قبل، وسيحاول كل واحد منهم الانفراد بما تحت يديه من موارد طبيعية وبشرية، أعلم أن الموقف في غاية الصعوبة عليك، لكن تذكر بأن مصير الأجيال القادمة بين يدينا الآن..

ثم نظر إليه نظرة ذات مغزى وهو يقول:

- وأتمنى أن نكون قادرين على حمل مثل تلك المسئولية..

احمرت عينا أمجد من شدة الغضب الذي يعتمل داخله  
وقال كلمة واحدة زلزلت كيان فاضل:

- سأقتلهم جميعًا.

\*\*\*

قام المسلحون باقتياد الرجال الأربعة وساروا بهم عبر  
شوارع وأطلال القرية لمسافة كبيرة وهم مقيدي  
الأيادي..

كان شديد يترنح في مشيه من أثر الصدمة الكهربائية  
العنيفة التي كان قد تعرض لها بعد سقوطه في الشرك  
الإلكتروني، ظلت مسيرتهم مستمرة حتى وصلوا إلى  
بناية تعتبر أفضل حالًا مما حولها من مباني متهدمة  
ومُحطمة..

تلك البناية التي دخلوها بها العديد من الصدوع  
والتشققات، هيئتها الخارجية لا تجعلك مرتاحًا  
للدخول إليها، لكن لم يكن لهم خيار في هذا فهم مجرد  
أسرى فحسب، مُقتادون ولا يقودون.

أما ما لفت انتباههم حقًا هو وجود العديد من الرجال المسلحين حول تلك البناية، وكانوا أشبه بالحراسة لتلك البناية، أخيرًا توقف الجميع أمام تلك البناية وقال الرجل الأسمر القوي في هدوء محذرًا إياهم:

- زعيمنا فاقد لفضيلة الصبر فمن يتكلم أمامه يجب أن يحاول الإيجاز في حديثه.

ثم استدار إليهم قائلاً:

- وهو أيضًا يكره الكذب والكاذبين أيما كره ومن يكذب لدينا نقطع لسانه ونطعمه إياه فلا تحاولوا الكذب على الزعيم أبدًا.

نظر الرجال الأربعة إلـب بعضهم البعض وقد كان شديد استعاد بعضًا من الشيء من حيويته المفقودة..

دفعوهم بخشونة ليدلفوا إلى داخل البناية وصعدوا بهم إلى الطابق الثاني على درجات السلم المتهالكة والضيقة، الجو شديد الحرارة والرطوبة خانقه ومصيرهم المجهول يزيد من صعوبة وضعهم.

أدخلوهم إحدى شقق البناية كان يقف على عتبة بابها حارسان يرتديان جلابيب صعيدية دُهش رجال المقاومة من رؤيتها بعد مرور تلك السنوات.

وفي مقدمة تلك الشقة وعلى وسائد قديمة يدوية الصنع جلس رجل صعيدي في أوائل الخمسينات من عمره يرتدي عوينات طبية، أصلع الرأس يرتدي جلاببًا بسيطًا للغاية ويضع بجواره سلاحه الآلي مُستندًا إلى الحائط.

ملامحه حادة للغاية لكنها هادئة، لا تشي بأي انفعال قد يجول بداخله..

تقدم منه الرجل الآخر وهو يقول له باحترام:

- هؤلاء الرجال دخلوا إلى القرية عصر اليوم يا حاج مأمون ودخلوا بيت (محمد عبد القادر) وعندما خرجوا اصطدناهم جميعًا وأخذنا أسلحتهم بعد أن قاومونا وجرحوا منا ثلاثة رجال.

اتسعت عينا الزعيم غضبًا وهو يقول لرجله:

- محمد عبد القادر، ذلك الملعون الذي جاء والده بكل هذا الوبال على رؤوسنا.

ثم التفت إليهم وهو يقول:

- من أنتم؟ وماذا تفعلون هنا؟ ولماذا دخلتم بيت هذا الرجل الملعون سبغًا.

حاول خالد أن يفتح فاه لكن نظرة الرجل إلى خالد جعلته يتراجع عن المحاولة والزعيم يقول مشيرًا بسبابته إلى صدام وزيه العسكري المُميز:

- أنت من الجيش المصري، أم أن هذا زي ما قد استوليت عليه؟! .

لاح شبح ابتسامة على ركن فم صدام وهو يقول:

- أنت تتحدث مع قائد كتيبة الذئاب، آخر كتائب الجيش المصري الصامدة.

تعالى همهمات الرجال المدهوشة من حولهم، وتوالى التعليقات ما بين مُصدق لهذا أو مُكذب له، في حين التفت إلى خالد وهو يقول:

- ملايسك سوداء هل... ؟

قاطعه خالد قائلاً:

- أجل أنا من المعاطف السوداء.

ثم أشار إلى شديد وحسان وهو يقول:

- وهذا شديد أحد قادة المُقاومة والآخر هو الدكتور حسان كبير علماء المُقاومة.

زاد اتساع عينا الرجل الصعيدي من الدهشة ومازالت همهمات وتعليقات رجاله تتعالى من حولهم وهو يقول لهم بصوت مبحوح:

- وماذا تفعل المقاومة في أرضنا بعد كل هذه السنوات، لقد ظننا اننا قد نسينا تمامًا، أو أن الجميع

تخلي عنا؟! .

انتهى من التساؤل ولم يرد عليه أحد فعاد يقول  
بمرارة:

- نحن دائماً منسيون هنا، لا أحد يهتم بنا، لا أحد يهتم  
بحياتنا أو مماتنا، حتى أنكم لم تجشموا أنفسكم عناء  
البحث عن وجود أحياء لدينا، ماذا لو كنا نحتاج إلى  
مُساعدتكم؟؟

رد شديد باندفاع:

- لم يكن لدينا أي تقارير تشير إلى وجود أي أثر للحياة  
في جنوب مصر، ولقد كنا نخوض حربًا للبقاء أحياء،  
نحن نحتاج إلى المُساعدة، فهل نمد بها من يحتاجها،  
نحن لسنا الحكومة لكي نهتم بكم أو بوجودكم.

توتر الجو أثر كلام شديد فقال حسان محاولاً  
التطليّف:

- اعذرنا يا حاج مأمون، أنت تعلم الوضع في القاهرة سيئ منذ سنوات والناس تكافح لكي تعيش، ولا امكانية لدينا لمساعدة الآخرين، ثم إن آخر المعلومات التي وردتنا أفادت بعدم وجود أي أثر للحياة هاهنا، حتى الاحتلال نفسه لا وجود له هنا.

هز الرجل رأسه مؤمناً على كلام حسان وأضاف:

- بالنسبة للاحتلال فبعد سقوط مصر واحتلال تلك الطفيليات لأجساد أغلب أهل القرية والمحافضة وقتلهم للباقيين على قيد الحياة، اختفوا تمامًا، رحلوا بعيدًا ولا نعلم لأين، وكان هناك شيئًا ما في القرية يبعدهم عنها أو يخيفهم، لذلك فبمجرد أن تأكدوا من هروب من تبقي منا بعيدًا عن متناول أيديهم، حتى غادروا.

صمت للحظات وهو يسترجع الذكريات البغيضة إلى قلبه وعاد يتابع:



- يومها، رأينا أضواءً غريبة تسطع في سماء القرية ليلاً، وسمعنا أصوات كأنها أصوات أهل الجحيم وهم يصلون سعيدها، وهبت رياح عنيفة للغاية مع عاصفة رميلة لم نر مثلها قط، وفجأة هدأ كل شيء، وبعد ثلاث ليالٍ عندما خرجنا للاستكشاف والبحث عن الطعام والشراب، وجدنا القرية خاوية على عروشها تمامًا، وبعد استبواب الأمور لنا، عرفنا أن محافظة المنيا بأكملها لا يوجد فيها أي شخص مريض بتلك الطفيليات، أما نحن فقد نجونا من أهوال الاحتلال وطفيلياته المميتة، والأمراض التي فتكت بالآلاف من البشر وجمعنا أنفسنا هنا نحن وأسرنا واطفالنا وما بقي من حطام حياتنا جمعناه وأنشأنا مجتمعًا بسيطًا، لكنه تطور مع مرور الوقت وأصبح أكثر تنظيمًا وقوة.

كان كلام الرجل كالصاعقة على رؤوس رجال المقاومة فكلامه هذا دليل على عدم صدق وجدية تقارير استطلاعات المقاومة، أو أن كل ما قيل لهم كان مجرد كذب.

أخرجهم الرجل من لجة تفكيرهم قائلاً:

- وأنتم يا رجال المقاومة والمعاطف السوداء والذئاب،  
ماذا تفعلون هنا مُجتمعين معًا؟

قال صدام سريعًا:

- نحن هنا للتأكد من وجود أحياء او ناجون في هذه  
المنطقة.

ثم صمت لحظات وتابع خالد مُنقذًا قائد الذئاب وقد  
قرر المُشاركة معه في لعبته:

- فأنت تعلم حاجة المقاومة وحلفائها المستمرة للرجال  
والموارد والسلاح.

تابع حسان وقد التقط ما يرمي إليه زملاؤه فقال:

- لذلك كلفنا من قيادة المقاومة المشتركة بأن نجوب  
صعيد مصر لنلتقط الناجين ونعود بهم إلى القاهرة.

ابتسم الرجل ابتسامة بسيطة وهو يقول:

- وما حاجتكم بذلك المنزل المعلنون ما سبب ذهابكم إلى هناك يا تريي؟!!

ارتبك الجميع إلا حسان الذي بدا أنه كان مستعدًا لتلقي ذلك السؤال فأجاب سريعًا:

- لا شيء يا سيدي سوى الفضول وحب الاستطلاع كنا نريد أن نرى تلك المنطقة التي بدأ من عندها كل شيء.

لم يستسغ الحاج مأمون تلك الإجابة، لكنه قد قرر تجاهل كل هذا بينما قال الرجل الأسمر الطويل:

- ولماذا قاومتونا عندما حاولنا إيقافكم؟

أغضب السؤال صدام الذي قال:

- أنتم لم تطلبوا شيئًا، لقد فتحتم نيرانكم علينا، ورددنا بالمثل.

قال الرجل مُحْتَدًا:

## زمجر الرجل قائلاً بحدة:

- نستطيع أن نحمي أسرنا وأنفسنا جيداً أيها الذئب الشريد.

ثم هدأت حدته ولان قليلاً وهو يقول:

- على كل حال أشكركم على عرضكم السخي يا رجال المقاومة، لكن لكل منا طريقته في المقاومة..فأنتم تحاربون الاحتلال بالسلاح وتقتلون جنوده وتقضون مضجعه في أرضنا، بينما نحن نقاتله ونقاومه ببقائنا أحياء على أرضنا التي نشأنا وترعرعنا عليها نحن وأجدادنا وآباؤنا وأحفادنا من بعدنا.

صمت الكل محترماً كلامه ما عدا خالد الذي قال:

- نحن نحتاج إليكم، وإلى سلاحكم.

نهض الرجل من رقدته وقد تجلي طول وقوته البدنية وعنفوانه رغم كبر سنه وهو يقول:

- أذن فلتعتبروا أنفسكم قد تأكّدتم من صدق تقاريركم، أنتم لم تقابلوا أحداً هنا قط.

كان كلامه ينهي الحديث تماماً فلم يجد خالد حلاً سوى أن يقول:

- لك هذا.

رد عليه الرجل وقد ظهرت البشاشة على وجهه:

الآن أنتم ضيوفنا ستأكلون وتستريحون ثم ستستعيدون أسلحتكم وسنوصلكم إلى خارج القرية لتكملوا رحلتكم إلى العاصمة بأمان، فلا مكان لكم طويلاً بيننا، ولا مكان لنا في مدرعتهم واثناء رحلة العودة إلى العاصمة، اتفق الرجال الأربعة على الذهاب إلى مقر المعاطف السوداء لبدأ تجهيزهم لرحلتهم إلى الصحراء الشرقية المصرية..

فور وصولهم إلى مُدرعتهم واستقرارهم داخلها بأمان، وبعد توديع رجال الحاج مأمون، اتفق الرجال الأربعة على التوجه إلى معقل المعاطف السوداء، للتزود

بالوقود والذخيرة وكل ما يحتاجونه للقيام برحلتهم  
التالية إلى شواطئ سيناء..

وبعد عدة ساعات وعندما وصلوا إلى مقر المعاطف  
السوداء وقد كان في استقبالهم مازن قائد المعاطف  
السوداء وعدد من رجاله بعد أن أخبروه بقرب قدومهم  
إلى معقلهم.

كان مازن متجههم الوجه باديًا عليه التوتر والغضب،  
مما قتل فرحتهم بسبب نجاح مهمتهم وحصولهم على  
مبتغاهم، نزل خالد أولًا من المدرعة مهرولاً باتجاه  
قائده وهو يسأله بتوتر:

- ماذا هناك أيها القائد؟

كان الجميع قد نزلوا من المدرعة ووقفوا جميعًا في  
ساحة معقل المعاطف السوداء الواسعة، فانتظر مازن  
حتى وقفوا جميعًا أمامه وقال:

- جميع فصائل المقاومة في سيناء والمنطقة الشرقية  
بثت رسالة صباح اليوم تفيد بعدم شرعية مجلس

المقاومة الحالي وطلبوا من باقي المستعمرات وفصائل المقاومة الأخرى في جميع أنحاء مصر بالتمرد علينا علنًا وأعلنوا أيضًا انهم قد حشدوا جيشًا ضخماً لأغراض دفاعية بحتة حتى لا نفكر في اخضاعهم بالقوة كما حدث في مستعمرة المرصد الفضائي..

ثم صمت للحظات وعاد يقول بسخرية مريرة:

- بل الأدهى والأمر أنهم قد أعلنوا المعاطف السوداء والذئاب فصائل متمردة وغير خاضعه للمقاومة، لقد خسرنا ستون بالمائة من قوتنا في هذه اللحظات العصيبة التي نحتاج فيها إلى كل رجل وكل سلاح لدينا.

تفجر الغضب والذهول في وجوه جميع الرجال وقال حسان بلهجة جزعة:

- والرمال السوداء، هكذا لن نستطيع صنع السلاح؟! .

رد خالد:

- سنذهب إلى هناك مهما حصل، نحن نعرف أن هناك تمردًا منذ البداية.

نبيه شديد:

- لم يكن التمرد معلنًا صريحًا كما هو الحال الآن.

أوقف مازن جدالهم وهو يقول:

- في تلك الناحية من البلاد، ما يزال للمقاومة أصدقاء مُخلصين لها وللبلاد بأكملها.

صمتوا ترقبًا في حين وجه هو نظرةً إلى حسان وقال له:

- صباح اليوم وصلت كميات من الرمال السوداء، أعتقد أنها أكبر من الكمية التي طلبتها أنت يا دكتور حسان، لذلك لا تقلق من استكمال عملية صنع السلاح.

تهللت أسارىهم، في حين قال صدام:



- لكن الأمر غير مُطمئن يا مازن، نحن نواجه العدة ونتوقع توجيه طعنة غادرة إلينا في الظهر في أي لحظة.

رد مازن:

- أعتقد أن المُتمردين لن يجسروا على الزحف نحو القاهرة أو الإسكندرية لقتالنا، سيبقى الوضع على ما هو عليه حتى اشعار آخر

قال شديد:

- ولكن هل قوتنا وحدها تكفي لمواجهة الاحتلال، أعتقد أن الأمر سيكون صعبًا للغاية.

بجدية قال مازن:

- ومنذ متى وكانت قوتنا وحدها كافية لفعل أي شيء، نحن سنخطط ونضرب ضربتنا، ومنتظر النتائج، لا شيء آخر أمامنا، لقد أقسمنا على القيام بواجباتنا

بغض النظر عن الظروف المُحيطة بنا، وهذا ما ننوي أن نفعله.

\*\*\*

في أحد بيوت مستعمرة مقر قيادة المقاومة جلس عدد من الضباط والمُتدربين الجُدد حول طاولة كبيرة تظلمهم سحابة رمادية من دخان التبغ المتصاعد من سجائرهم وهم يتحدثون بعصبية شديدة مُنذ عدة ساعات..

كان أحدهم يقول وهو ينفث دخان تبغه كقطر بضائع قديم متهاك:

- عرفت من الكلام المتناثر هنا وهناك أن المقاومة ستشترك في عملية قتالية كبرى مع باقي الفصائل الأخرى، ولا نعلم إن كانت موجهة إلى الاحتلال وأنا لا أحبذ هذا الرأي، أم أنها موجهة إلى الفصائل المُتمردة

قال آخر:

- ستكون ضد التمرد بالتأكيد، القادة الحاليين للمقاومة عبارة عن مجموعة من العجائز خائري القوة وضعاف العقول ومنهكين البدن والروح لم يشاركوا في عمليات قتالية كبرى منذ عقد من الزمان على الأقل، ما الذي يدفعهم الآن للقتال، أو محاولة تحرير البلاد.

رد آخر وقد بدا أنه أكبر الموجودين سنًا ورتبة:

- يا رفاقي أنا أعرف أن معنا كل الحق في قيادة المقاومة وليس معهم لكن تذكروا أيضًا وجود المعاطف السوداء والذئاب، هم لن يسمحو أبدًا بسقوط المجلس الحالي وسيقفون معه إن اعترضنا على قرارته، ونحن قوتنا وحدنا لا تكاد تكفي حتى لإزعاج المقاومة، فما بالكم، بالدخول في صراع مسلح طويل الأمد مع فصيلين من أقوى الفصائل المسلحة في البلاد.

رد الأول في سخط:

- كذلك أين هذا المجلس المزعوم، نحن لا نرى سوى أمجد وفاضل وبعض الضباط الكبار، هؤلاء هم كل المجلس فقط، أم أن هناك أعضاء آخرين يمارسون دورهم في الخفاء؟! .

عاد كبيرهم يقول:

- لا يهمنا حالياً معرفة ذلك كل ما يهمنا هو اختيار التوقيت الصحيح لضربتنا، فإن نجحت خطتنا لن يجد المعاطف السوداء أو الذئاب أي فرصة لإنقاذ صديقهم أمجد من بين برائتنا.

قال آخر منزويًا في ركن قصي:

- المعلومات التي لدي هي معلومات مؤكدة يا رفاق، المقاومة بالاشتراك مع المعاطف والذئاب يجهزون لعملية كبرى قد تخلصنا من الاحتلال إلى الأبد.

قال الأول بعد أن أطفأ سيجارته وأشعل أخرى جديدة:

- إذن فلنسيطر على المقر الرئيسي للقيادة عندما يخرجون هم إلى تلك المهمة.

نظروا له باستهزاء وقال قائدهم حاسمًا النقاش:

- جيلنا الحالي لم ينعم بخيرات أرضه وحرمه قادة المقاومة من خيراتهم ومواردهم التي بأيديهم الآن، سنتظر ماذا سيحدث..ليقاتلوا بعضهم البعض، هذا سيضعفهم سواء المقاومة أو حلفاءها، سيقاتلون الاحتلال إن اتفقوا وبعدها سيقاتلون بعضهم البعض حينها سننقض نحن لنقيم دولتنا وعدلنا.

تجلى الرضى الممتزج بالحماسة على وجوههم وقائدهم يستطرد:

- تأكدوا من وضع رجالنا الذين زرعناهم في كل مكان، تيقنوا من وضع أسلحتنا المخبئة بعيدًا عن أعينهم، مخزون الذخيرة والطعام والوقود وكل شيء، لن نترك للمصادفة أي دور في خطتنا، وعندما يلحق الجميع

جراحهم بعد معركتهم مع (الأغراب) سنضرب نحن  
ضربتنا.

وصمت لحظات ثم استطرد:

- كل ما سنفعله هو الانتظار، الانتظار فقط.

قالها وعيناه يشع منهما الغضب والكراهية الشديدان.

\*\*\*

## الليلة التي تسبق المعركة

العمل يجري على قدم وساق داخل المستعمرة التي يقع فيها المقر الرئيسي لقيادة المقاومة، كانت كخلية النحل الكل يعمل هنا وهناك، كل حسب دوره في الخطة الموضوعة سلفاً..

في الساحة الكبيرة للمستعمرة التي تم إخلاؤها تمامًا من المدنيين حيث قامت قيادة المقاومة بنقل جميع السكان إلى المُستعمرات البعيدة عن المواجهة، اصطفت عشرات المدرعات وناقلات الجنود، بالإضافة إلى مئات المقاتلين المحتشدين في جميع أنحاء المستعمرة وليس في ساحتها الكبيرة فحسب، حتى خارج أسوار المُستعمرة ومن على أسوارها تستطيع رؤية العشرات من الخيام المنصوبة أمامها، وعشرات المقاتلين الذين يتنقلون في كل مكان وحولهم توجد عشرات السيارات المدنية التي تم تدريبها يدويًا في ورش الحدادة التابعة للمقاومة..

لم يختلف الحال كثيرًا داخل غرفة زعيم المقاومة التي تحولت إلى مقر قيادة وسيطرة اجتمع فيها أغلب قادة المقاومة مع زعيمهم بالإضافة لزعيمي المعاطف السوداء والذئاب، بينما كان حسان غائبًا لوضع اللمسات الأخيرة على السلاح هو وبقيّة فريقه من علماء المقاومة..

كان أمجد قائد المقاومة يتحدث قائلاً:

- لنراجع خطتنا مرة أخرى يا رجال.

التقط شهيقًا عميقًا كمحاولة منه للسيطرة على اضطراب أعصابه ثم قال بصوت حائل بأن يكون متماسك قدر الامكان حتى لا يرى رجاله اضطرابه واهتزازه:

- خطتنا تعتمد بالأساس على مهاجمة منطقة الأهرامات لمحاولة تسلق الهرم الأكبر ونصب السلاح عليه، بينما تقوم احدي فرق المقاومة بتطويق الهرم لحماية المتسلقين ولتخفيف الضغط عنهم، القوة



المهاجمة مُحيط الهرم ستكون مؤلفة من قوة مُشتركة من كافة الفصائل بما فيها المعاطف السوداء والذئاب، وبينما نحن نحتل المنطقة ونؤمنها سيقوم شديد بفرقة من رجال المُقاومة وخالد على رأس فرقة من المعاطف السوداء بمهاجمة أقرب مقران من مقرات الاحتلال القريبة من الأهرام، تلك المقرات سينطلق منها هجومًا مُضادًا، بكل تأكيد ناحية القوة الرئيسية المهاجمة، لذلك ستكون مهمة شديد وخالد هي تعطيل قوات الاحتلال ريثما نستطيع نحن نصب السلاح واستخدامه.

ثم أشار بسبابته إلى أحد الرجال وقال له:

- وأنت يا سالم ستقود القوة الاحتياطية لنا ستأخذ مائة مقاتل من مقاتليك وستكون قريبًا من قوة الهجوم الرئيسية لدعمها إذا ما تم اجتياحها.

ثم وجه حديثه إلى الجميع قائلاً:

- نسيت أن أعرفكم، سالم هو قائد المُستعمرة الوحيدة التي ما تزال على عهدا وولاؤها الوحيد والمُطلق للمُقاومة المصرية.

أوماً سالم برأسه ليرد تحية القادة والضباط من حوله في حين سأل أحد ضباط المُقاومة أمجد:

- ومن سيقود قوة الهجوم الرئيسية، يا حضرة القائد؟

رد أمجد سريعاً:

- أنا والعقيد صدام قائد كتيبة الذئاب سنكون على رأس القوة المهاجمة لمنطقة الأهرام سيقود هو الفريق الذي سيقوم بتسلق الهرم الأكبر، بينما سأدافع أنا عنه.

هز صدام رأسه استحساناً لقول أمجد، في حين كان مازن قائد المعاطف السوداء جالساً في موضعه لم يتحرك منذ بداية الاجتماع منتظراً شيء ما لكن نظرة واحدة من أمجد إليه كانت كفيلاً بمعرفة ما يدور بياله فنهض أمجد وسار نحو الحائط من خلفه وهو يقول:

- نحن نعلم بالطبع شرط المعاطف السوداء لخوض هذا القتال معنا.

ابتسم مازن ابتسامة مرتبكة عندما طالته نظرات الرجال من حوله فابتسم وهو يقول:

- نحن لا نشترط شيئًا عليك يا أمجد، واجبنا هو القتال، لكن عذرًا من يؤكد لي أنني لن أدفع خيرة رجالي وشبابي لمواجهة موت مُحتم لا فكاك منه.

تابع أمجد حديثه مُتجاهلاً تعليق مازن وهو يضغط أحد الأزرار الصغيرة على الحائط لتتكون عليه شاشة عرض هولوجرامية كبيرة وتتوسط الحائط تمامًا:

- شرط المعاطف السوداء الوحيد هو تجربة السلاح على أحد المحتلين قبل الشروع في تنفيذ أي عملية قتالية مُحتملة.

تعالَت همهمات الاستنكار في القاعة الصغيرة لكن تجاهلها أمجد ومازن تمامًا في حين عاد الأول يقول:

- لقد قام الذئاب مشكورين باصطياد أحد البشر المُسيطر عليهم من قبل (الأغراب) وقام العالم حسان مع فريق العلماء التابع للمقاومة بتجربة السلاح على هذا الكائن في أثناء فترة حشدكم لرجالكم.

بدأت الشاشة تعرض التجربة التي قام بها حسان مع معاونيه، حيث وُضِعَ هذا (البشري السابق) داخل قفص زجاجي مقاوم للرصاص، كان يرتدي ملابس عادية للغاية كالتي يرتديها أغلب الجالسين، لكن وجهه كان غريبًا للغاية، أعينه ثابتة لا تطرف أبدًا وغلب اللون الأحمر على بياضها، بشرته شاحبه للغاية حتى بدا لونه كالحليب، وكان طويلًا للغاية ونحيفًا كعصا، ويتحرك بهياج شديد مذعور داخل القفص الزجاجي وكأنه يعرف ما ينتظره ويعرف أن حكم الإعدام سينفذ فيه في الحال، فكان يبحث عن منفذ غير مرئي ليفر منه كالفأر المذعور، يتحسس الزجاج بيديه ويدق عليه بكفيه وبقبضتيه بقوة وعنق، فكسر واحدة وأدمى الأخرى، حتى بدأ في التشنج والزمجرة وإصدار أصوات لا تمت لأصوات البشر بأي صلة، وبعدها ضرب

الجدار الزجاجي برأسه عدة مرات بعنف، فأصيبت  
جبهته بجرح كبير للغاية، سالت الدماء سوداء كثيفة  
وثخينة على ملابسه من جروحه المتعددة، فتراجع  
إلى مُنتصف القفص ليقف فيه وقد أدرك أنه لا يوجد  
مهرب من ما ينتظره، فوقف ثابتًا ينظر إلى العلماء من  
حوله في خواء.

كان حسان ورفاقه مُتحلقين حول طاولة موضوع  
عليها صندوق أسود اللون بالكامل ويخرج منه ما يشبه  
الهوائي الصغير مدبب الطرف.. أخذ حسان يضغط  
على عدة ازرار في الجهاز بتتابع مدروس وهو ينظر  
إلى ورقة صغيرة أمامه.. في حين كان إثنين من  
العلماء قريبين من القفص للغاية أحدهما يصور  
باهتمام ذلك البشري المُسَيِّطِر على جسده والعالم  
الآخر يقوم بتدوين كل ما يراه أمامه تفصيليًا وبدقة  
شديدة.

بدأ حسان بتوجيه طرف الهوائي المُدبب ناحية القفص  
وهو يقول:

- سنبدأ الآن بالإطلاق أخلوا محيط القفص تمامًا.

سارع العالمان الاثنان بالابتعاد فورًا من محيط القفص، في حين وقف البشري المسيطر عليه داخل القفص يتابعهم باهتمام شديد.. ضغط حسان أحد الأزرار الكبيرة في الصندوق ليرتفع منه أزيز مزعج للغاية، ثم أخذ الجهاز يهتز وقد ارتفعت حرارته إلى حد كبير، حتى توقف بغتة، ومرت لحظات من الصمت لم يحدث فيها أي شيء، توقفت قلوب حسان ورفاقه خوفًا من فشل التجربة، لكن تنفسوا الصعداء حين أمسك البشري المسكين رأسه ويبدو عليه الألم الشديد لأول مرة منذ وقوعه في الأسر، تقلصت عضلات وجهه، ويدها تتحركان بشكل غريب أقر حسان فيما بعد أنها حركات لا إرادية ناتجة عن موت الطفيلي داخل جسد العائل، استمر المسكين بالتلوي والانتفاض، حتى سقط على ركبتيه، وعيناه تدوران في محجريهما بسرعة مُخيفة، وبعدها بدأ ينزف من كافة فتحات جسده.. أذنيه، عينيته، أنفه، فمه، دم كثيف أسود اللون، وفي النهاية بدأ دُخان خفيف يتصاعد من جلده المُحترق محولًا

لون جلده إلى الأخضر الشاحب، ثم همدت حركته مرة واحدة، وسقط كخرقة بالية مُستعملة.

انتهى مقطع الفيديو عند هذه اللقطة وتباينت ردود أفعال الجالسين وإن غلب عليها الأمل، نتيجة لوجود سلاح قادر على ردع الاحتلال بشكل كامل وتام..

قال صدام بثبات حيث لم يفصح عن انفعاله الداخلي:

- لقد رأينا تأثير السلاح على فرد واحد لكن ماذا سيكون تأثيره على الآلاف منهم، وهل جهاز واحد فقط قادر على جعل لنا افضلية في أثناء مواجهتنا معهم؟

نظر له مازن فقد كان نفس السؤال يراوده منذ بداية الفيديو فرد أمجد بهدوء:

- حسب أبحاث ودراسات أغلب علماء المقاومة لنظرية العالم الألماني وبردية المهندس المصري القديم إيموحتب، أن هذا السلاح يؤثر على تلك الطفيليات ويقتلها في مداه الفعال الذي يبلغ...

قطع كلامه ثم نظر إلى الورق الذي أمامه وعاد يتابع:

- مئة كيلومتر في كل الاتجاهات في محيط السلاح.

قال مازن:

- والكائنات التي تقع خارج نطاق المدى الفعال للسلاح  
ما الذي سيحل بها؟

رد أمجد:

- ستشل وتقيد حركتها أو على أضعف التقديرات  
ستبطل كثيرًا من حركتها، بما يسمح لقواتنا بالتعامل  
معها بأقل قدر ممكن من الخسائر في صفوفنا.

قال أحد ضباط المعاطف السوداء:

- اعذرني يا حضرة القائد ولكن، لماذا إصراركم على  
وضع الجهاز على سفح الهرم الأكبر؟ لماذا لا نضعه في  
أي مكان آخر يوفر لقواتنا الحماية الكافية في أثناء  
نصب السلاح وتشغيله؟



رد أمجد بنفاد صبر واضح:

- سل إيموحتب وليس أنا، فهو من أوصى بذلك، في برديته.

خفض الضابط رأسه في خجل في حين قال أمجد:

- يا رفاق السلاح، هذه مخاطرة واجب علينا جميعًا أن نخوضها بدون ذرة واحدة من التردد أو الشك في خطتنا أو في قراراتنا.

صمت لحظات ثم تابع:

- برأيكم يا رجال، ماذا سيحدث إن تم تدمير الجهاز في أثناء المعركة هل ستواصلون القتال أم تنسحبون تجرون اذيال الخيبة والعار ليوم مماتكم؟ وسيعلم أحفادكم انكم كان لديكم فرصة للقتال وفضلتم الاختباء.

تبادل الجميع النظرات فيما بينهم فعاد يقول:

- هذه معركة، سنخوضها بما هو متوفر لدينا من إمكانيات وعتاد وسلاح، لنخوضها الآن ونحن قادرين قبل أنا نتلكأ ولا تأتينا فرصة ثانية لخوضها ونندم في وقت لن يشفع لنا ندمنا فيه.

رد عليه مازن:

- المعاطف السوداء ستقاتل بجواركم حتى آخر رصاصة وآخر رجل.

بينما قال صدام:

- نحن متشوقون للقتال ضد الاحتلال من جديد، آخر من تبقى من رجال الجيش المصري سينتظرونكم في ميدان المعركة..

ابتسم أمجد ابتسامة خفيفة وهو يجول بنظره في كل من حوله، كان القلق يعصف بذهنه، ويمنعه من مجرد التفكير، حتى أنه يجاهد حتى يستطيع الوقوف ثابتًا على قدميه بدون أن يقع، هو يعلم أن تلك المعركة

التي هم بصددها ستحدد مصير البشرية كلها حتى  
القيامة..

إن لم تكن قد قامت بالفعل..

## الفخ

مُمسكاً بريشة الكتابة بيد مرتجفة، يحاول منع يده من كتابة ما يمليه عليه الكائن بداخله..

يعلم إيمحوتب انه مُسيطر عليه من قبل أحد تلك الطفيليات.. لكن عقله المتطور ظل يقاومه ومع جرعات كثيفة من العقارات المختلفة ازدادت كثافة مقاومة عقل إيمحوتب لهذا الطفيلي، لكن ذلك الطفيلي من أقوى المخلوقات التي خلقها الله على مر العصور، فلم تنجح دفاعات إيمحوتب في صده وانهار إيمحوتب وانهارت مقاومته..

ظلت يده التي تُمسك بالورقة ترتجف بينما يده الأخرى التي تمسك بالقلم تكاد تقترب من الكتابة..

من بداخله يدفعه إلى كتابة فخ لمن بعده، فخ سيسقط كل قوى البشر.

حاول إيمحوتب منعه بشتى الطرق لكن الطفيلي كان قد نجح في هذه اللحظة في الاستحواذ عليه تمامًا..

نوع مُختلف، يجعل المُضيف لهذا الطفيلي يتصرف على طبيعته تمامًا، ودون وجود أعراض لأي مرض عليه، وفي لحظات معينة، يستولي ذلك الطفيلي على كامل جسد المُعيل ويجعله يتصرف كما يشاء وكما يريد.

وفي النهاية كتب إيمحوتب البردية التي سيظن من بعده انها تحمل النجاة ولكنها لا تحمل

سوى الخوف والموت فقط..

\*\*\*

صباح يوم المعركة

وقف أمجد مع صدام وخالد وشديد بالإضافة إلى سالم المنضم إليهم حديثًا ليعطيهم التعليمات النهائية

قبل خوض المعركة، كانوا مُتمركزين على بعد عدة كيلو مترات من منطقة الأهرامات.

قال أمجد بصوت يغلب عليه الانفعال والغضب:

- تشير آخر استطلاعاتنا إلى وجود تواجد للعدو عند منطقة الأهرامات على عكس ما كُنّا نتوقعه تمامًا، آخر ما تم ذكره في تقاريرنا أن تلك المنطقة لا وجود فيها للاحتلال قط.

تذكر صدام الاستطلاعات الغير دقيقة للمقاومة والتي أفادت بعدم وجود أحياء في جنوب مصر لكنهم قد اكتشفوا عكس ذلك في رحلتهم إلى المنيا فقال بصوت غاضب:

- يبدو أن زعيم المقاومة لا يحسن اختيار رجاله، أو أن رجاله يقصدون تضليله، وأري الخيارين كارثة قد تقضي علينا قريبًا.

نظر له الجميع بلوم وعتاب وضحين فقال خالد:

- يا سيادة العقيد أعتقد أنه لا طائل من الحديث حول هذا الأمر الآن نحن على قيد عدة كيلومترات من ساحة معركتنا التي سنخوضها قريبًا.

أشاح صدام برأسه بعيدًا وتجاهل الأمر برمته فقال له أمجد:

- صدام يا صديقي، لا وقت لدينا للحديث في الأخطاء التي وقع فيها كل منا، الآن أنت ستقود فريق الرجال الذين سيتسلقون الهرم الأكبر لتنصب السلاح عليه، فهل أنت جاهز لاستخدام السلاح وتشغيله؟

رد صدام باقتضاب:

- أجل لقد شرح لي حسان الأمر وسأقوم به على أكمل وجه.

أوماً أمجد برأسه قائلاً:

- أنا سأقود الهجوم الأول وهدفه تطهير محيط الهرم من كافة المحتلين وبعدها سأتجه بقواتي لمحاصرة

الهرم الأكبر، بينما تقوم فرقة من قوات المقاومة بقيادة سالم بمحاصرة منطقة الأهرامات من كل اتجاه لحماية مُحيطنا.

قالها وهو يشير إليه ثم أكمل:

- ستكون أنت خط دفاعنا الأول عن منطقة الأهرامات.  
رد سالم بحماسة:

- سأكون خط الدفاع الأول والأخير يا سيدي لن يتخطوني أبداً.

نظر أمجد إلى شديد:

- ستقود أنت الهجوم على مقر الاحتلال الذي يبعد عن هنا ثلاثة كيلومترات.

فأوماً شديد برأسه ثم نظر إلى خالد وهو يقول:

- وأنت ستقود الهجوم على مقر الاحتلال الذي يبعد سبعة كيلومترات، واعلموا أن نجاح خطتنا يعتمد على



إخراج هذين الموقعين من الخدمة فإن قامت قوات الاحتلال التي تحرس الاهرامات، بإنذار هاذين الموقعين سنجد كل البشر المُسيطر عليهم من قبل تلك الشياطين فوق رؤوسنا، لذلك تمسكوا بمواقعكم جيدًا حتى الرجل الأخير ولا تسمحوا لهم أبدًا بالخروج من مواقعهم.

أومؤوا برؤوسهم وعاد أمجد يقول:

- اعلموا أن الهزيمة لن تعني خسارتنا معركة واحدة أو حتى الحرب بأكملها، هزيمتنا اليوم تعني نهاية المقاومة المصرية للأبد وبلا رجعة، ووقتها لن يكتفي الاحتلال بمناطق نفوذه فقط بل سينطلق ليسيطر على باقي مصر، وستنهار كافة المستعمرات البشرية، وسيموت الآلاف وينتهي آخر آمالنا بالبقاء، لذلك طالما بقي في صدوركم نفسًا يتردد، لا تسمحوا بحدوث هذا قط، لا تسقطوا اليوم يا رجال، فنحن الأمل الأخير..

مع نهاية كلماته ودع الرجال بعضهم بعضًا، وكل منهم سيذهب في طريق يعلم أنه يمكن أن تكون به نهايته،

ونهاية للحياة ككل.

\*\*\*

وصل شديد ورجاله إلى مبني الطفيليات المراد السيطرة عليه، كان مبني مكعب الشكل بلا نوافذ أو أبواب، شكله يدل على أنه مصمت وليس مجوفًا، وله بريق ذهبي ولمعة يخطفان الأبصار..

أحاط بهذا المبني مكعب الشكل عشرات من الحواجز الكهربائية ذات الشرر المتطاير منها، مجرد الاقتراب من أحد تلك الحواجز ستتحول على الفور إلى كومة من الرماد التي تذرّوه الرياح..

وبين تلك الحواجز كان البشر المُسيطر عليهم من قبل الطفيليات يحملون أسلحتهم - أسلحة البشر النارية التي استولوا عليها - يتحركون جيئة وذهابًا كدوريات لحماية المبني وتأمينه..

كان شديد وسط أطلال البيوت المُتهدمة على مسافة آمنة من المبني بحيث لا يتمكن أحد من الطفيليات

رؤيته هو أو رجاله..

نظر شديد إلى رجاله وقال لأقربهم:

- ستتحرك المدرعات أولاً فاتحة نيران مدافعها بأقصى طاقتها ومن خلفها يتحرك المقاتلين لاجتياح الموقع.

ثم قال بصوت جهوري:

- أنا لا أريد تحييد هذا الموقع عن القتال، بل أريد احتلاله أو تدميره تمامًا.

رفع الرجال سلاحهم في حماسة وهم يصيحون فتوجه شديد إلى مدرعته واعتلاها قائلاً:

- على بركة الله.

ثم أعطى إشارة بدء الهجوم.

تحركت المدرعات الأربعة في صف واحد باتجاه المكعب الذهبي بأقصى سرعة تسمح بها محركاتها

بينما تفتح نيران مدافعها باتجاه جنود الأعداء، الذين قد أخذتهم المفاجأة..

وخلف المدرعات الأربع كان يركض المئات من رجال المقاومة، الذين سقط منهم عدد كبير، كذلك من البشر المسيطر عليهم الذين نجحوا في امتصاص المفاجأة وقاموا بتنظيم أنفسهم بسرعة شديدة وبادلوا رجال المقاومة إطلاق النيران..

توقف شديد بمدرسته على بعد عدة أمتار من المكعب الذهبي وبدأ بإطلاق النيران بشراسة وكثافة نحو جنود الاحتلال الذين رغم تنظيمهم فتعدادهم كان أقل من تعداد رجال المقاومة الذين كانوا يقاتلون بروح عالية ومرتفعة..

كان القتال يسير لصالح رجال المقاومة وقد زادت حماسهم وقد أمر شديد سائق بمدرسته بالتقدم لأمتار إضافية باتجاه المبنى..

سمع الجميع صوت ضجيج عالٍ يأتي من المكعب، ليتوقف القتال للحظات كانت كفيلة بسقوط عدد من رجال المقاومة المندehشين من الصوت.. لكن الدهشة زادت عندما رأوا باب ضخم ينشأ فجأة في وسط المكعب، ثم ينفتح هذا الباب لأعلى بصرير مكتوم ليخرج منه العشرات والعشرات من البشر المُسيطر عليهم من قبل تلك الطفيليات، ويبدووا في الاشتباك بعنف مع رجال المُقاومة الذين انقلبت الكفة عليهم.

صرخ شديد في رجاله بأن يعاودوا القتال مرة أخرى بتشكيل مُختلف، لتنتشر بعدها الطفيليات بطريقة احترافية تضمن لهم سيطرة نيرانية عالية على مُقاتلي المُقاومة، الذين هربت من بين أيديهم المُبادرة، لبدأ مُقاتلو المُقاومة في التقهقر للخلف، رويدًا رويدًا تحت حماية المدرعات، التي بدأ سائقوها بالتراجع ببطء شديد، وفي وسط المعمة، أصيبت مُدرعة شديد بعطب مفاجئ أدى إلى توقفها بعد أن أصدر مُحركها ضجة عالية..

ندب شديد حظه العثر، وقفز من على سطح المُدرعة حاملاً مدفعه الرشاش في يد وفي الأخرى مُسدسًا كبير الحجم، ووجه فوهته نحو السماء وجذب زناده لتنطلق منه شعلة حمراء اتجهت ناحية السماء لتنيرها..

كانت تلك هي الإشارة المُتفق عليه لبدء الهجوم

ركض أمجد عندما شاهد الشعلة الحمراء تظهر في السماء بأقصى سرعة لديه هو ورجاله مطلقين النار على دستتين من الحراس الذين كانوا يحيطون بالهرم الأكبر تحديدًا..

قاتل الحراس المُسيطر عليهم من الطفيليات قتال المستميتين لكن العدد لعب لعبته مرة أخرى لصالح رجال المقاومة فسقط المحتلون سريعًا ولم تفقد المقاومة أي من رجالها في هذا الهجوم..

أمر أمجد بعدها رجاله بتمشيط محيط الهرم سريعًا وتأمينه وعندما تأكدوا من خلو المكان من أي وجود

للاحتلال أعطي أمجد إشارة لصدام عبر اللاسلكي الذي انطلق بمدرعته السوداء بأقصى سرعة لبدء مهمته..

توقفت مدرعته أمام الهرم الأكبر مباشرة وترجل منها هو وعشرة من ذنأبه، يحمل كل منهم سلاحه وجزء من السلاح الرئيسي المفكك المراد نصبه فوق سفح الهرم.

باشر رجال صدام في تسلق أحجار الهرم الضخمة فور ترجلهم من مدرعتهم، وكأنهم مخلوقون لهذا الهدف فقط..

في حين توقف صدام قليلاً أمام الهرم الأكبر وهو ينظر له، ثم ركض خلف رجاله ليشرع هو الآخر بتسلق الحجارة الضخمة..

بعد لحظات نظر أمجد إلى رجاله ثم صاح:

- انتشروا حول محيط الهرم، تمسكوا بمواقعكم ولا تتركوها تحت أي ظرف من الظروف.

انتشر رجاله كل في مكانه المعروف مسبقًا بينما رفع هو سلاحه متخذًا مكمنا خلف إحدى المدرعات بجوار رجاله مناجيًا الله أن تنجح خطتهم اليوم..

\*\*\*

كان سالم ومعه مئة من رجاله واقفين بتحفظ على حدود منطقة الأهرامات، لكن سالمًا لم يجد مُبررًا للتحفظ، فهو مُتأكد بأنه لن يواجه أي هجوم قبل ساعتين على الأقل من الآن..

إلا أنه رغم هذا كان رافعًا سلاحه بتحفظ ويراقب كل الاتجاهات بمنظار صغير معلق على رقبته ليقترب منه أحد رجاله وهو يقول بتردد:

- لقد بدأنا بالانتشار يا سيدي ولكن..

قطع الرجل كلامه فرفع سالم المنظار من على عينيه وهو يسأل رجله:

- ولكن ماذا؟



قال الرجل بتوتر شديد:

- عددنا لا يكفي لتغطية المنطقة بأكملها وأي هجوم علينا معناه..

قطع الرجل كلامه للمرة الثانية على التوالي ولكن ليس بكامل إرادته هذه المرة بل بسبب رصاصة اخترقت مؤخرة رأسه محولة إياه إلى فتات تناثر على وجه سالم الذي أصابته رصاصة هو الآخر في كف يده اليسرى مُحطمة إياها..

صرخ سالم من الألم وهو يحتمي خلف مدرعته ثم ألقى نظرة خاطفة على ما يدور حوله بعد أن تناهت إلى مسامعه أصوات الاشتباك وإطلاق النيران يأتيه من كل جانب..

ليجد أن عددًا كبيرًا من قوات الاحتلال قد اخترق قواته وقام باكتساح قلب مجموعته تمامًا..

لم يحاول العدو تطهير المنطقة منهم بعد اختراق دفاعاتهم، بل اندفع باتجاه الأهرامات الثلاثة وتحديدًا

## ناحية الهرم الأكبر!

ازداد تعجب سالم ودهشته عندما تجاوزه العشرات منهم دون أن يحاولوا حتى الاشتباك معه أو مع رجاله، وكأنهم مجموعة من الآليين لا هدف لهم سوى محاولة بلوغ الهرم الأكبر فقط..

لم يسمح سالم بالمفاجأة أن تقيده ولم يتردد للحظة واحدة فصرخ في رجاله أمرًا إياهم بالهجوم ومطاردة تلك القوات قبل بلوغها الهرم الأكبر..

\*\*\*

كان أمجد مُحتميًا خلف مدرعته وهو يناجي ربه حين سمع دوي إطلاق النيران فعلم على الفور أن سالمًا وقواته يتعرضون لهجوم، توقع أن خالدًا أو شديدًا قد فشل أحدهما في مهمته، مما أصابه بالذعر لكنه تمالك نفسه، تكلم في اللاسلكي المثبت في معصم يده اليسرى مُعطيًا أوامره لقواته بالاستعداد لصد الهجوم الآتي نحوهم.

لم يتأخر الهجوم عليهم كثيرًا، فمع آخر حروف رسالته التي بثها عبر أثير اللاسلكي، انهمرت حوله الرصاصات من كل جانب ليسقط أقرب الرجال منه، وسقط واحدًا آخر خلفه..

كانت أعداد المهاجمين كبيرة للغاية، كانت تفوقهم بنسبة واحد إلى ثلاثة لكن لا مجال للتراجع الآن.

فخرج أمجد من مكمنه مطلقًا رصاصات سلاحه على أقرب المهاجمين له ليسقط مدرجًا في دمائه السوداء الكثيفة..

كان جميع رجال المقاومة يعطون ظهورهم للهرم الأكبر حتى لا يباغتوا بهجوم من خلفهم لكن جوانبهم مكشوفة وهذا ما استغلته الطفيليات المسيطرة على أجساد البشر..

حيث دفعوا بمجموعة من اليمين ومجموعة من اليسار حتى يحاصروا أمجد ورجاله، وهذا ما حدث بالفعل ليصبح أمجد ورجاله محاصرون بين شقي الرحي..

وفي وسط القتال ألقى أمجد نظرة خاطفة إلى الهرم حيث صدام ورجاله، ليجدهم قد اقتربوا من الوصول لقمة الهرم لكنهم يحتاجون إلى بعض الوقت فقط..

فاذا تخطت تلك القوات صف مقاتلي المقاومة فسيكون صدام ورجاله لقمة سائغة لهم بدون دفاعات تمامًا

قال أمجد هذا لنفسه، وقرر اعطاء بعض الوقت الإضافي لصدام ورجاله..

فأشار لخمسة رجال أن يهاجموا المجموعة اليسري بينما أشار لأربعة رجال آخرين أن يتبعوه لمهاجمة المجموعة اليمنى وأمر الباقين تركيز نيرانهم على منتصف القوات المهاجمة لهم..

كانت خطوة انتحارية منه، لكن هذا هو السبيل الوحيد لجعل القتال يطول لأطول فترة ممكنة.

"إذا انتظرنا مكاننا سنموت، وإذا هاجمنا يمكننا أن ننجو."

قالها أمجد صارخًا بكل ما يعتمل بداخله من انفعالات وهو يخرج من مكمته متوجهًا ناحية اليمين مطلقًا وابلًا من الرصاص باتجاه المُحتلين مسقطًا العديد منهم وورائه اندفع رجاله الأربعة بأجسادهم سقط ثلاثة منهم فور بدء الهجوم بينما تم إبادة المجموعة الأخرى تمامًا بعد لحظات من القتال..

ألقي أمجد نظرة خاطفة أخرى ليجد أن صدامًا ورجلًا آخر قد استقرا بنجاح على قمة الهرم الأكبر بالفعل بينما الرجال الثمانية الباقون قد أخذوا أوضاعًا دفاعية قريبًا منهم.

التفت أمجد مرة أخرى ليواصل القتال ليفاجئ بأحد البشر الشاحبين قد اقترب منه لمسافة كبيرة بمجرد رؤيته أطلق النار وأطلق الآخر أيضًا دفعة من سلاحه في نفس اللحظة..

لتصيب أمجد عدة رصاصات في معدته وكتفه وفخذه الأيمن واحتكت إحدى الرصاصات برقبته مفجرة الدماء منها كنهر فائض.

بينما أصيب المحتل برصاصتين في رأسه كانتا كفيلتين بإسقاطه..

لم يحتمل جسد أمجد أصابته فسقط أرضًا ينزف من جراحه، كانت الرؤية لديه مشوشة، وباهتة للغاية، والبرودة تتسلل إلى أطرافه رويدًا رويدًا، ودوي الرصاصات من حوله كأنها أصوات من زمن آخر لا ينتمي إليه..

بكل قوته كان يحاول الحفاظ على آخر قدر متبقٍ لديه من الوعي، وفي تلك اللحظة، كان بعض البشر الشاحبين قد بدء صدام ورجاله يظهرن في مرمي نيرانهم، لبيادهم رجال صدام الثمانية إطلاق النيران بدورهم حتى يوفروا التغطية والحماية لقائدهم وزميلهم المنهمكين في تركيب وتثبيت السلاح على قمة الهرم..

لكن طاشت أغلب رصاصات المحتلين نتيجة لبعء المسافة وضغط رجال المقاومة المستميت عليهم..

في حين لم ينجح الذئاب في استخدام أسلحتهم  
جيدًا لضيق الأماكن الواقفين عليها..

واستمرت المعركة..

\*\*\*

زاد ضغط المحتلين على من تبقي حيًا من رجال  
المقاومة، لكن سالمًا ورجاله كان لهم رأي آخر، حيث  
وصل سالم ليجد قائده ساقطًا فوق ميدان المعركة  
والعديد من رجال المقاومة ما بين صرعى وجرحى..

فانقض برجاله على المحتلين من الخلف في معركة  
قريبة المسافات لم تستمر سوى دقائق معدودة،  
وانتهت بفك الحصار عن الهرم الأكبر ومقتل كل البشر  
المسيطر عليها..

لكن كان فك هذا الحصار غالبًا للغاية حيث فقدت  
المقاومة تقريبًا ثلاثة أرباع مقاتليها.

أمر سالم من تبقي حيًا من رجاله بالانتظام في وضع دفاعي نصف دائري حول الهرم الأكبر ووضع باقي المدرعات التي ما زالت تعمل أمام المدافعين كمتاريس لهم، بعد أن نفذت ذخيرتها وأصبحت خارج القتال رسميًا..

وركض باتجاه أمجد الذي كان يتنفس بصعوبة شديدة للغاية، وأخرج من مشدته محقن كبير غرزه في فخذه وهو يتألم فقال له:

- فلتحمل قليلاً أيها القائد

ثم صنع ضمادات بسيطة من سترته بعد أن مزقها ولفها بإحكام حول جروحه حتى يوقف النزيف وهو يقول:

- لن تحس بالألم عندما يبدأ مفعول المادة التي حقنتك بها..

لم تمر عدة دقائق حتى كان أمجد يتنفس بهدوء وانتظام وإن كان يعاني ألماً بسيطاً..



نظر إلى سالم وقال له بضعف ووهن شديد:

- هل نجحنا؟

نظر سالم إلى قمة الهرم حيث صدام يجاهد لتركيب السلاح ثم نظر بمرارة إلى ميدان المعركة وهو يقول بحنق بالغ:

- لقد استعدنا سيطرتنا على الهرم مرة أخرى ونظمت الرجال في وضع دفاعي تحسبًا لأي طارئ، لكن الثمن كان فادحًا للغاية، أصدقك القول أيها القائد، لن نستطيع صد هجوم آخر بحالتنا التي نحن فيها.

ثم قام بإمساكه من يده ووسطه وقال مُشجعًا: تحامل على حتى أوصلك إلى منطقتنا الدفاعية..

تحامل أمجد على نفسه وهو يتكئ على سالم حتى أوصله الأخير إلى ما وراء أحد المدرعات المُصطفة كمتاريس من المعدن أمام من تبقى من مُقاتلي المُقاومة الأحياء ثم سقط أرضًا وهو يقول بمرارة:

- أنا أعلم أننا سنسقط جميعًا هنا، لكنني أتمنى ألا  
نسقط هباءً.

سعل وتناثرت قطرات الدماء من بين شفثيه على وجه  
سالم وبعد أن هدأ سعاله وانتظم تنفسه قال:

- الكثير يموتون كالبهائم حتى وإن كانت حياتهم ذات  
قيمة.. أنا لا أريد قيمة لحياتي لكنني أريد قيمة لموتي..

نهض متحاملاً على نفسه ملقياً نظرة على ميدان  
المعركة ثم نظرة على قمة الهرم حيث صدام يكافح  
من أجل تثبيت الجهاز وكان من الواضح من ارتبائه  
أنه يواجه صعوبة بالغة في تثبيت السلاح..

نفض أمجد رأسه بقوة ثم وقف وسط رجاله ملقياً لهم  
بالتعليمات الأخيرة فقال لهم:

- إن سقطتم اليوم يا رجال، فليكن سقوطكم مدويًا..

وكان يعلم في قرارة نفسه أن يومهم هذا سيكثر به  
الساقطون..

\*\*\*

على سفح الهرم الأكبر، كان صدام ورجله يكافحان من أجل تركيب السلاح وتثبيته..

صدام ورجاله عند علمهم بمهمتهم كانوا يعلمون تمام العلم بأنه إذا ما هوجموا من قبل البشر الشاحبين فإنهم سيقتلون بدون حتى أن يطلقوا رصاصة واحدة لصعوبة الاشتباك والتصويب والقتال من أماكنهم..

عض صدام على شفثيه وهو يحاول مجاراة ذلك التسجيل الصوتي لحسان الذي يدوي في أذنه عن طريق تلك السماعة الحساسة المزروعة بداخل أذنه.. كانت رسالة مسجلة بها تعليمات توضح كيفية تركيب السلاح وتثبيته وتشغيله.

طلب صدام التدريب على فك الجهاز مرة أو مرتان لكن ضيق الوقت لم يسمح لهم بتكرار العملية أكثر من مرة واحدة فقط، كان ما يحز في نفسه ويشعل جذوة غضبه هو أنه، رأي صدام رجال المقاومة يسقطون، رأي أمجد يسقط حسبه قُتل..

سمع دوي الرصاصات من حوله، بل أن واحده مرقت بجوار رأسه لكنه لم يهتز بل تألم..

تألم كثيرًا ليس من أجل سقوط الرجال، ففي عقيدته وعقيدة ذئابه فالرجال يسقطون كل يوم وبكل مكان وبأي طريقة..

لكن ما يؤلمه حقًا هو أن هناك قتال يدور أسفل منه ولا يستطيع الاشتراك به..

تصبب عرقه وعرق رجاله غزيرًا والموت على بعد خطوات قليلة منهم ولا يستطيعون حتى مقاومته أو دفعه..

لكنه ركز جُل اهتمامه على محاولته لتكوين السلاح.. حتى يكون له ولو دور صغير في تحرير البلاد من هذا البلاء..

وتلك مجرد أمنية.

كان خالد قد بدأ هجومه على المكعب الثاني للاحتلال بمجرد الوصول إليه..

لكن هذا المكعب على عكس الآخر كان يتمتع بحراسة شديدة..

قوة خالد الهجومية تُقدر بخمسة وتسعين رجلاً وسبع مُدرعات، عندما بدأ هجومه وأطلق النار على هذا المبنى أدرك فداحة ما يفعله، الهجوم بتشكيل مفتوح في أرض واسعة بدون تغطية على هذا المكعب هو انتحار، ستمون مجزرة يسقط فيها رجاله بلا هدف أو ثمن.

وكمقاتل محنك ألقى نظره على أرض المعركة من حوله فوجد العديد من الأطلال والمباني المواجهة لذلك المبنى المكعب، فصرخ على رجاله في جهاز الاتصال المثبت عند رقبته:

- سنحتمي في أطلال المباني المواجهة للمكعب، سنخوض معركة دفاع، تحصنوا جيدًا

وحافظوا على الذخيرة، فلا نعلم المدة التي سوف نقضيها هنا.

ثم ركض إلى أحد الجدران المتهدمة واحتوى وراءها، ثم أطلق بضع رصاصات وهو ينتقل من جدار مائل إلى آخر صاعدًا برشاقة إلى أعلى مستهدفًا الوصول إلى قمة أحد المباني السليمة ليقود رجاله منها..

فقمة تلك المبنى مواجهة تمامًا لمكعب الاحتلال الذهبي ومنها سيستطيع إدارة المعركة، وبالفعل نجح في الوصول إليها ، كانت تلك القمة عبارة عن غرفة أحد جدرانها الأربعة متهدم تمامًا والجدران الباقية في طريقها إلى ذلك..

بينما الجدار الذي أمامه يحتوي على نافذتين صغيرتين قرر استعمالهما كمرابض لإطلاق النيران..

فأمر أحد رجاله بتثبيت مدفع رشاش ثقيل على النافذة اليسرى في حين تولى هو اليمنى.

نظر من خلالها ليجد أن جميع رجاله قد اتخذوا سواتر لهم في المباني المحيطة بالمكعب أو وراء المدرعات، وبدئوا في تبادل إطلاق النيران مع البشر الشاحبين فتكلم مرة أخرى عبر جهاز اتصاله قائلاً:

- هنا خالد يحدثكم اثبتوا في مواقعكم.. سندافع عن تلك الأطلال إن هاجمونا، وإن لم يهاجموا سنبادلهم التراشق بالنيران لكن بحرص.. لا نعلم كم سنمكث هنا، لكننا لن نغادر قبل أن يأتينا الأمر بالانسحاب من القيادة، لذلك، اثبتوا واصمدوا فهنا بدمائكم وعرقكم ستكتبون تاريخ جديد لبلادنا..

ثم أنهى رسالته وبدأ في إطلاق النيران..

\*\*\*

كان شديد مصابًا في ذراعيه وكتفه وفخذه الأيمن والعديد من الجروح في وجهه من أثر الشظايا كانت تسيل الدماء منها بغزارة..

عض على شفتيه مُتألماً وهو يواصل إطلاق النيران  
فقد حوَصر تماماً هو ورجاله، قاربت ذخيرتهم على  
النفاذ، كذلك تم إعطاب جميع مدرعاتهم، ولا أمل لهم  
في النجاة على الإطلاق..

لكن برغم ذلك استبسل شديد ومن معه في القتال،  
وقد سقط أغلبهم والبقية الباقية لن تستطيع إكمال  
المهمة..

كان قد تبقى معه ثمانية رجال فقط من أصل مائتي  
رجل.. كانت خسارة فادحة، وهزيمة ثقيلة نكراء لا  
سبيل لتعويضها على الإطلاق..

من فرط تعبته توقف عن إطلاق النيران وسقط على  
الأرض منهكاً وهو يقول بوهن وضعف شديدين:

- لم يعد لديّ سوى ثلاثين رصاصة فقط.

رد اقرب رجاله إليه: أنا لم يعد لدي سوى عشر  
رصاصات فقط.



في حين قال ثلاثة آخرون إن ذخيرتهم قد نفذت تمامًا وأنهم أصبحوا خارج القتال رسميًا.

والثلاثة الباقون مجموع رصاصهم مجتمعين لا يتجاوز الخمسين رصاصة.

نظروا إلى بعضهم البعض في يأس ثم قال شديد مخرجًا من حزامه مُستطيل صغير به عدة أزرار ملونة:

- نحن سنغادر هذا أكيد، لكن ما رأيكم بهدية وداع صغيرة لهؤلاء الشياطين!

نظروا إليه بتساؤل حائر فقال لهم موضحًا:

- ما ترونه أمامكم الآن هي قبيلة قوتها التدميرية تساوي قوة عشرين قبيلة يدوية مجتمعة معًا، لا تمتلك المقاومة كلها سوى اثنتين من هذا النوع وأنا قد نجحت في سرقة واحدة منهم هذا الصباح.

نظروا إليه وقد فهموا ما يرمي إليه فقال واحدًا من رجاله:

- أنا سأحملها إليهم فقط اعطوني التغطية المناسبة،  
وما قد تستطيعون الاستغناء عنه من رصاص.

كان الرصاص ينهمر عليهم بعنف من أكثر من  
اتجاه، وصوت اصطدامه بهيكل المدرعة المحتممين به  
يصيبهم بالصمم، والحزن!

فقال شديد بصوت عالٍ محاولاً التغلب على صوت  
ارتطام الرصاص بهيكل المدرعة المعدني:

- بمجرد خروجك ستتحول إلى أشلاء متناثرة يجب  
أن يخرج عدد كبير منا وفي أكثر من اتجاه لتشتيتهم  
عن حامل القنبلة..

كان يطلب منهم الموت بهدوء وكأنه يطلب منهم  
مرافقته إلى العشاء في نهاية الليلة.

لم يظهر التردد على أي واحد منهم حتى من نفدت  
ذخيرتهم

فقال شديد بصوت متأثر:

- كان شرفاً لي القتال بجواركم، وشرفاً أكبر أن أموت معكم.

لم يبذ عليهم الحزن أو حتى التأثر وتحجرت الدموع في الأعين، سرت رعدة خفيفة بالأجساد.

رعدة الموت.

أمسك كل منهم بسلاحه، وأشار لهم شديد أن يذهب أربعة رجال من اليمين وأربعة من اليسار..

فقسّموا أنفسهم ثم تكلم قائلاً:

- سنذهب ولكننا سنأخذ أكبر عددًا منهم معنا يا رجال.

لم يستمع أحد لكلماته التي بدت لحظتها عديمة اللون والطعم، وكل رجل منهم كان يفكر بعائلة أو ابن أو صديق أو حبيب أو وطن ضائع..

انفصلوا تمامًا عن الواقع وعن الدنيا وعن القتال الدائر حولهم حتى صوت الرصاصات اختفى من وجودهم،

لم يعد هناك سوى هم، وتلك القبلة.. فقط.

نظروا إلى بعضهم البعض النظرة الأخيرة المودعة ثم  
قال شديد بهدوء:

- الآن.

خرجوا في مجموعتين عن يمين ويسار المدرعة التي  
كانوا يحتمون بها وهم يصرخون ويطلقون الرصاصات  
باتجاه المحتلين..

كان شديد يحمل القبلة وهو يضمها إلى صدره كطفل  
وليد يريد أن يحميه, وهو يطلق الرصاصات المتبقية  
معه ويركض بشجاعة جنونية باتجاه المكعب الذهبي،  
مُحاولًا الوصول إليه وتدميره.

سقط واحد من رجاله ثم الثاني والثالث وأصيب الرابع  
إصابة بالغة وتعثر الخامس ساقطًا على الأرض ولم  
ينهض بعد سقوطه..

لم يشعر شديد بالوقت يمر من حوله، كان كل شيء يمر ببطء حتى أنه تعجب عندما رأى أحد رصاصات العدو تمزق من جوار رأسه ببطء شديد لتخطئه وتصيب الرجل الأخير الذي خلفه في رأسه مباشرة، ليسقط جثة هامة بلا رأس.

شعر بذرات الهواء ترتطم بوجهه، سمع صوت دقات قلبه يصم أذنيه، هو سيموت.

لقد عاش وحيدًا، وسيموت وحيدًا.

لم يشعر بالخوف أو بالرهبة عكس ما كان يتوقع.

فقد كان عزاؤه الوحيد أن موته سيكون له قيمة وهدف ومعنى، خفتت الصرخات وبقي وحده بعد سقوط رجله السابع والأخير، وبقي هو ما زال يركض وكأن شياطين سقر كلها تطارده..

بعد موت رجاله انصب اهتمام العدو عليه فزادت كثافة الرصاصات المنهمرة نحوه..

رمى سلاحه ليخفف من وزنه وأخذ يركض في مسار متعرج ليزيد من صعوبة إصابته.

لكنه كان عاريًا، مكشوفًا.

كان قد اقترب كثيرًا من المكعب الذهبي وفي المقابل ازدادت كثافة النيران المنهمرة عليه أكثر وأكثر حتى شعر بالحرارة من كثافة النيران التي يرمي بها..

لكنه سقط قبل بلوغ هدفه، أصيب بخمسة رصاصات دفعة واحدة في أماكن متفرقة من جسده.

طارت القنبلة بعيدًا عن متناول يديه..

ونظر نظرة لائمة إلى ملاك الموت المحلق فوقه..

حاول الزحف بجسده باتجاه القنبلة..

لكن الرصاصة الأخيرة التي انطلقت نحوه لم تُخيب طريقها نحو رأسه.

كان رجال المعاطف السوداء بقيادة خالد يبلون بلاءً حسناً في صد هجمات العدو الذين خاب رجائهم عدة مرات في الهجوم على المباني التي يحتمي بها خالد ورجاله وفي كل مرة كانوا يتكبدون خسائر جسيمة فيتراجعون حيث مكعبهم الذهبي، ليعيدوا تنظيم صفوفهم ثم معاودة الكرة.

ظل خالد يطلق النيران باستماتة على هؤلاء البشر السابقين كلما تقدموا ناحية الأطلال التي يتحصن بها هو ورجاله، بينما كان رجاله منظمون إلى أقصى حد بل وكان يبدو عليهم الاستمتاع الشديد بما يفعلونه.

كان خالد في وسط المعركة يلقي على رجاله الأوامر بعد كل هجمة من هجمات العدو، يأمرهم بالثبات والصمود ويشد من أزرهم.. مذكراً إياهم بنبل مهمتهم وعظمتهم..

بعد ساعة من بدء القتال، حمي وطيس المعركة أكثر وسقط العشرات من المعاطف السوداء لكنهم ظلوا صامدين رغم خسائرهم، وفي أحد المرات بعد أن

انتهت واحدة من هجمات العدو بفشلٍ ذريعٍ ودستة من القتلى وثلاثة أضعافهم من الجرحى والمصابين...

جاء أحد رجال خالد إليه وهو خافض رأسه قائلاً:

- سيدي نحن نبلي حسناً بالفعل، ولكن لن تمر نصف ساعة حتى نجد كل قوات الاحتلال على رؤوسنا.

قال خالد بشراسة:

- دعهم يأتوا إذن إلى هنا، نحن المعاطف السوداء يا رجل أنسيت هذا؟

- ذخيرتنا ستتناقص بشدة إن استمرت الهجمات علينا بنفس الوتيرة.

- سنطلق بدقة أكبر ولن نهدر الذخيرة.

- ولكن..

جذبه خالد من ياقته بعنف ليدنوه منه وهو يقول له بصوت خفيض:



- ما شعار المعاطف السوداء؟ ذكرني به يا هذا؟! .

قال الرجل بصوت متردد:

- نعيش، كي نقاتل، لنموت بشرف.

ترك خالد ياقته وربت على كتفه بقوه وهو يقول:  
أحسنت، لنموت بشرف.

\*\*\*

جلس أمجد وسالم على الأرض مستندين بظهورهم  
على أحجار الهرم الأكبر.. كانت المدرعات تصطف  
أمامهم كمتاريس لإعاقة تقدم أي قوات مهاجمة.. بينما  
انتشر رجالهم في خط دفاعي نصف دائري..

كان أمجد قد نزف الكثير من الدماء لكنه أبى أن  
يسقط حتى لا تنهار معنويات رجاله، كان يتألم لكنه  
نجح في إخفاء ألمه..

حال سالم لم يكن مختلفًا كثيرًا عن أمجد ولكن  
إصاباته كانت أقل..

كانت درجة الحرارة خانقة بشكل كبير، زفر سالم ثم التفت إلى أمجد وقال:

- هل سننجح؟ لقد مرت نصف ساعة فقط، فقدنا فيها كل مقاتلينا.

رد أمجد بصوت منهك:

- لقد قطعنا شوّطًا طويلًا، بذلنا الدماء والأنفس في سبيل التحرر لن يتركنا الله الآن أو يتخلى عنا.

رد سالم:

- لن تختلف الأمور كثيرًا بعد رحيل الاحتلال..

نظر له أمجد نظره خاوية ثم عاد يتطلع إلى الصحراء ورمالها الممتدة أمامه..

فوجئ أمجد بصياح أحد رجاله فتحامل على نفسه ليذهب إليه كان الرجل ممسكًا بمنظار مقرب اختطفه منه أمجد وهو يقول بغلظة:

- ماذا دهاك يا الرجل لتصرخ هكذا.

وضع المنظار المقرب على عينه ناظرًا في نفس الاتجاه الذي كان ينظر فيه رجله..

وحينها رأى ما جعل الرجل يصرخ..

مئات من أجساد البشر التي تسيطر عليها تلك الطفيليات تتقدم باتجاههم ركضًا مثيرة ورائها سحابة كبيرة من الغبار..

بذعر حقيقي صاح أمجد في رجاله:

- نحن نتعرض لهجوم.

كان سالم بجواره عندما نطق جملته فتابع أمجد:

- يبدو أن أحد رجالنا لم ينجح في اتمام مهمته على أكمل وجه.

نظر إلى سفح الهرم حيث صدام الذي كان يواجه مشكلة واضحة في نصب السلاح على قاعدته..

نظر سالم له وقال:

- نحن هالكون لا محالة لكن لنعطي صدام أكبر قدر ممكن من الوقت حتى ينتهي من تركيب السلاح.

أوماً له أمجد برأسه ثم تحرك ليواجه رجاله وهو يصيح قائلاً:

- أيها الرجال، لقد عشنا في الظل كثيراً.. نضرب الضربة ونختبئ لم نواجه العدو في معركة كبيرة من قبل.. كنا نعتمد على الضربات السريعة الخاطفة، لكن اليوم الأمر مختلف تمامًا، لقد تركنا عائلاتنا وأحبائنا، وكل من نعرفهم ونحن نعلم أننا قد لا نراهم مرة أخرى أبدًا، كنا نعلم أننا ذاهبون لطريق بلا عودة منه.. يا رجال لقد فقدنا ماضينا وحضارتنا.. لماذا نجعل أبناءنا يعانون مثلما عانينا نحن.. لنقف الآن وقفة واحدة أخيرة ونرسم بدمائنا مستقبل أبناءنا الجديد.. بالنار والدم.

تحركت الحماسة في نفوس رجاله فقال بصوت حاول  
إيداع كل ما يملك من قوة فيه:

- استعدوا يا رجال.

اتخذوا أماكنهم جميعًا وصبوا أسلحتهم باتجاه  
الحشد الذي أصبح قريبًا منهم وصاح أمجد:

- اقتصدوا في الذخيرة.. لا تطلقوا إلا على أهداف  
مضمون إصابتها.. اثبتوا ولا تتقهقروا مهما حدث،  
أظهروا معدنكم الحقيقي للعدو، ولا تطلقوا نيرانكم إلا  
عندما أصدر أمرًا بذلك.

صمت الجميع واحتبست الأنفاس وبلغت القلوب  
الحناجر..

وأصبح الحشد على بعد عدة أمتار منهم..

وانطلقت أول رصاصة.

أخيرًا نجح صدام في تركيب قاعدة السلاح عندما ناداه أحد رجاله وهو يشير باتجاه ما..

نظر صدام حيث يشير رجله وذهل لما يراه..

مئات من البشر الواقعين تحت السيطرة ينقضون بشراسة على من تبقى من رجال المقاومة بالأسفل.. كانت المعركة محسومه من قبل أن تبدأ حتى..

اتسعت عينا صدام ثم صاح في رجاله:

- انزلوا الآن، ساعدوا زملاءكم..

نظر له رجاله في جزع وقال أحدهم:

- ونترك هنا؟

رد عليه صدام:

- لن تتركوني، أنتم ستدافعون عني بالأسفل هيا نفذوا الأمر، لا تناقشوني.

قال رجل آخر:

- سنأخذ من خمسة عشر دقيقة إلى عشرين دقيقة على الأقل في النزول للأسفل.

رد صدام بعصبية شديدة:

- إذن لا تضيعوا الوقت أيها الأغبياء، انزلوا فورًا.

أطاعه رجاله على مضض وبدؤوا في النزول لأسفل بأقصى سرعة لديهم.. بينما أمسك هو الهوائي وثبته في مكانه على سطح الجهاز وبدأ في عملية تثبيت السلاح على قاعدته.

كانت أعداد المهاجمين مهولة، بمجرد إسقاطك لواحد سيبرز مكانه اثنان..

بدأ رجال المقاومة في التقهقر إلى الخلف وهم يطلقون النيران بعشوائية..

صاح سالم:

- سنموت هكذا إنهم يبيدوننا إبادة تامة.

رد أمجد وهو يواصل إطلاق نيرانه باستماتة محاولاً  
منع المهاجمين من الوصول للهرم:

- لا يوجد حل آخر بأيدينا سنقاتل حتى الرمق الأخير.

سقط العشرات من رجال المقاومة ما بين صرعى  
وجرحى بجروح بالغة.

تقدم المهاجمون أكثر حتى صارت المسافة بينهم وبين  
المدافعين عن الهرم لا تتجاوز الأمتار العشرة.

بدل سالم خزانة سلاحه الفارغة بأخرى ممتلئة وهو  
يقول لأمجد:

- تلك خزانتي الأخيرة ثم..

قاطع كلامه اختراق إحدى الرصاصات لعنقه محطمة  
حنجرته لتنفذ من مؤخرة رأسه صانعة فيها ثقب  
دموي كبير، نظر أمجد إلى جثة سالم نظرة خاوية ثم



ألقى سلاحه الخالي من الرصاص أرضًا والتقط سلاح سالم الساقط بجواره واستمر بإطلاق النيران، شاعرًا بكل آلام جروحه تهاجمه مرة أخرى بشراسة..

لم يتبق من رجال المقاومة سوى عدد قليل يعد على أصابع اليدين.. وقد بدأ المهاجمون يخرقون موقعهم الدفاعي من عدة اتجاهات مختلفة..

أخذ أمجد يطلق رصاصاته وهو يتقهقر إلى الخلف ثم شعر بعمود من نار يخرق صدره أعلى القلب بقليل..

فسقط أرضًا وهدأت حدة القتال مرة واحدة، اقترب منه أحد البشر الشاحبين مصوبًا سلاحه إلى رأس أمجد فأغمض عينيه مستسلمًا لمصيره..

إلى أن جاءت رصاصة اطاحت بالمحتل الواقف على رأسه لترديه قتيلاً على الفور.

كان كل رجال المقاومة قد سقطوا صرعى، لكن ذئاب صدام كانت قد أكملت نزولها من الهرم..

بمجرد أن نزل التسعة رجال حتى تفرقوا ركضًا، كل منهم في مكان مختلف لتشتيت العدو..

ورغم تفوق العدو العددي عليهم بنسبة واحد إلى ألف فإنهم قد نجحوا في إحداث ثغرات في صفوفه بالتكنيك القتالي الذي اتبعوه..

لكن الكثرة تغلب الشجاعة..

سقط سبعة منهم قتلى، واثنان أصيبوا إصابات بالغة..

استلقى أحد الذئاب المُصابين بجوار أمجد الذي ابتسم على نحو عجيب وهو يقول:

- لقد حاولنا..

نظر له الذئب الجريح ثم تطلع إلى أحد البشر المسيطر عليهم الذي اقترب من أمجد مصوبًا سلاحه إلى رأسه...

وأمجد تحولت ابتسامته إلى ضحكة مفعمة بالألم والمرارة والحسرة وقطرات الدماء الحمراء القانية تتساقط من بين شفتيه.

هدأت ضحكات أمجد وأراح رأسه على الأرض وأغلق عينيه وانتظر الرصاصة الأخيرة، رصاصة الرحمة..

مرت ثوانٍ ثم سمع صوت تحشرج مختنق صادر من المحتل الذي أمامه فتح عينيه..

كانت الرؤية مشوشة لديه..

ليجد كل جنود الاحتلال من حوله يمسكون رؤوسهم ويتلوون بألم شديد وقد أسقطوا أسلحتهم أرضًا.

حاول أن ينهض لكن جسده أبقى الاستجابة له فاكتفى بمشاهدة ما يحدث بفرح واضح..

كذلك الذئب الجريح المستلقي بجواره أخذ يشاهد ما يحدث.. لكنه تحامل على نفسه والتقط مدفعين

عائدين لزملائه الصرعي وبدأ في إطلاق الرصاصات  
على من ظل واقفاً على قدميه من البشر الشاحبين..

حتى انتهت ذخيرة السلاحين ومعها انتهت حياة  
الذئب وانطفأت شعله حياته، إلى الأبد.

\*\*\*

## النهاية

نزل صدام من سفح الهرم بعد أن نجح في مهمته، كان يعلم بموت الجميع..

لكن مرأى كل تلك الكمية من الجثث آثار في نفسه رهبة وخوف لم يختبرهما طوال حياته رغم ما لاقاه من أهوال..

رأى أصدقاء وزملاء كانوا أحياء منذ سويغات قليلة، والآن أصبحوا مجرد أجساد تسربت منها دماء الحياة..

أخذ يسير بين الجثث مارًا بجثة أمجد الذي مات وهو محافظ على ابتسامته وعلى سلاحه..

لم يشعر بالفرح بل لم يشعر سوى بالخوف، والخوف فقط..

في قرارة نفسه كان يعلم أن تلك هي النهاية..

كان يعلم أنه يوم القيامة.

قيامتهم هم، قيامة من ماتوا على الأقل..

شعر بدنو النهاية، رغم تأكيد الجميع على أن تلك  
المعركة الأخيرة..

لكنه كان يشعر أن تلك بداية الحرب الأخيرة..

شعر بالاشتياق إلى غرفته في معقله بالإسكندرية،  
شعر بالاشتياق إلى ذئابه..

سار مقررًا الخوض في رمال الصحراء إلى ما لا نهاية..

سار محاولًا الابتعاد عن مئات الجثث التي تفترش  
الأرض..

ابتعد وابتعد وابتعد..

ثم سمع صوت ضجيج واهتزت الأرض من تحت  
قدميه، فقد توازنه للحظات، واتسعت عيناه لما يرى،  
كانت الأرض تنشق في مواضع عدة وتبرز منها أيادٍ  
بيضاء كبيرة وضخمة، يكسوها شعر بني قصير اللون.

أخذت تلك الأيادي تزيح الرمال من فوقها حتى ظهر  
أصحابها...

عمالقة ضخام الأجساد..

سادوا الأرض يوماً ما..

وقد عادوا من باطن الأرض ليُلبَّوا النداء..

وليسودوا الأرض مرة ثانية.

\*\*\*

عن الكاتب

الكاتب أحمد ناصر عبد الوهاب..

من أعماله..

- جرعة رعب (قصص)

- ذات يوم في أوكرانيا (رواية)

- العائد من بابل (رواية)

- الآخر (رواية)

- وما خفي كان أعظم (كتاب)

للتواصل مع الكاتب..

عبر الإيميل

Ahmdnaser2011@gmail. com

عبر facebook





<https://www.facebook.com/ahmednaser2222>